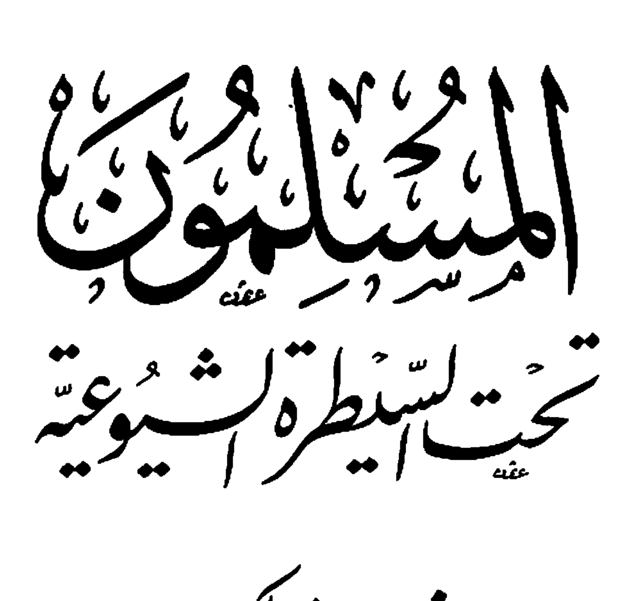
المسلمون

تحت السيطرة الشيوعية

محمود شاكر

المكتب الاسلامي



المكتب الإسلامي

الطبعة الثالثة

١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م

المكتب الإسلامي

بيروت : ص . ب ١١/٣٧٧١ - هاتف ٤٥٠٦٣٨ - برقياً : اسلاميا

دمشق : ص . ب ٨٠٠ - هاتف ١١١٦٣٧ - برقياً : اسلامي

مقـــدِّمة

بســـــم الله الرحمن الرحيم

يخضع العالم الاسلامي اليوم لعدد من أنظمـــة الحكم تختلف في مناهجها وأهدافها وأساليبها وطرق معالجتها للأمور ، ولكن معظم هذه الأنظمة يقف من الاسلام موقفاً متشابهاً موحداً ،وان اختلففي المجابهة والوضوح وحمل الشارات والظهور بواجهات متباينة ، كما أن أكثـــر هذه الأنظمة يوجّه بأيدٍ خفية واحدة متحالفة ، وان كانت تأخذ أشكالاً مختلفة تبدي اتفاقها تارة ، وتخفيه أخرى معلنة العداء فيمـــا بينهـــا ، ومصرّحةً بهجوم بعضها على بعض . واذا كان من الصعب توضيح كل مايتعلق بالأمور السياسية العالمية لما فيها من أسرار ومداخـــلات ، ومـــا تتضمنه من مشكلات وتناقض ، وما يكتنفهـــا مـــن غموض يخفى على المتتبع إلا أننا نستطيع أن نبين بعض جوانب هذه الأنظمة الضرورية لنـــا هنا لنقف على الردهة المشرفـــة على ساحـــة الميدان والمطلـــة على مكان الصراع ، وإن كانت بعيدة لاتُرى منها إلا الرايات ولاتُعرف إلا الطرق وتفرعاتها وانعطافاتها ، أما ما يحدث فيها فيحتـــاج إلى شرفـــةٍ أقرب . ويمكن أن تتبين بعض هذه الجوانب من السياسة المتبعة في الاجزاء التي يسيطر عليها أي نظام من عالمنا الاسلامي ، ومن هنا جاءت ضرورة دراسة الأمصار الاسلامية التي تخضع لنفوذ كل نظام .

إن أهم أجزاء العالم الاسلامي وأوسعها وأغناها يقـــع اليوم تحت

سيطرة النظام الشيوعي وفي الوقت نفسه فإن هذه المناطق أكثر الأمصار بعداً عن معرفة المسلمين،وأقلها دراسة لصغر رقعتها إذا ما قيست بالأرض التي تخضع لهذا النظام ، ولوقوعها خلف ستار حديدي سياسي لايكاد يخترق ، وللقبض على سكانها بقبضة فولاذية لا يستطيعون معها التفوه بكلمة أو الاتصال مع العالم الخارجي ،بل إنهمجرد التفكير بأحد هذين الأمرين يجد المرء أمامه السيف مصلتاً ينتظره ، فموت الانسان قريب وسهل لا قيمة له في تشريع ذلك النظام . لهذا كله فاننا سنبدأ بدراسة أمصار هذا الجزء من عالمنا الاسلامي .

يحتل العالم الاسلامي مساحة تزيد على ربع مساحة العالم،وتقدر بـ ٣٧ مليون كم٢ من أصل ١٣٦ مليون كم٢ هي مساحة العالم كافة ، ويسيطر الشيوعيون على أكثر من ٧ مليون كم٢ من العالم الاسلامي ، وهي مساحة تقرب من خمس أرض المسلمين اليوم ،ويقيم على هذهالرقعة من اليابس مايعادل خمس عدد المسلمين أيضاً وهو ١٤٠ مليون نسمة من أصل ٧٢٣ مليون وهو عدد الذين يدينون بالاسلام في الوقت الحالي .

هذه هي الارض ، وهؤلاء هم السكان ، أما النظام وهو الشيوعي فلا بد من أخذ فكرة بسيطة عنه قبل البدء بالبحث .

الشيوعية كفكرة مبدأ قديم ، سار عليه البدائيون في شيوعية الأرض فكانت للقبيلة ، وفي شيوعية النساء فكان للزعيم نساء القبيلة أو كل امرأة في الأسرة ، ودعا الى هذا المبدأ أو الي بعض جوانبه كثير من القادة في العصور الأولى لتحقيق شهوة القائد أو تأمين هوى نفسه ، كما اتخذه القرامطة والحشاشون منهجاً[1] ،وكذا كل الثائرين على السلطة ،

---

(١) انظر كتابنا عن القرامطة ، طبع المكتب الاسلامي .

وكل المفسدين في الأرض ، والحاقدين علـى المجتمع لكسب أصحـاب الشهوات إليهم ، وجذب أهل الغواية إلى صفهم عن طريق شيوعية النساء وإثارة كوامن النفس ، وتهديم فكرة الاخلاق وسيادة القانون الذي يحد من الهوى والشهوة، هذا إضافة إلى أصحاب الافكار الهدامة والنظريات الفاسدة • ولكن هذه الفكرة الشيوعيةلم تلبث ان تضمحل وتزول بنهاية مروجيها ، ويظهر فسادها حتى للذين اتبعوها عندما يصعدون الى أول درجة في سلم التفكير حيث يرون فيها تهديم المجتمـع وإزالة التنظيـم وتخريب كل بناء اجتماعي •

أما حديثاً فالشيوعية أضحت نظاماً سياسياً تعتنقه جماعة ، وتقيم لها حكومات متعددة وتسيطر على أراض واسعة ، وما من بلد إلا ولهـا أنصار فيه تتخذ منهم وسيلة لتحقيق أغراضها السياسية وتمدهم بالعون، وينفذون ما يطلب منهم دون مناقشة ودون النظر إلى مصلحة بلادهم التي يعيشون على أرضها • وأول من دعا الى هذا النظام أحد اليهود كـارل ماركس ، وكانت من ورائه أصابع اليهود العالمية للدعوة الى الجـانب المادي المقابل للنظام الرأسمالي الذي تحركه الأيدي نفسهـا وتوجهـه الاصابع ذاتها ، لإيجاد الصراع بين الطبقات في وقت وجدت فيه ، وبين الانظمة لإفساد الناس وبث الشكوك في العقائد ، ونشر الزيغ عن الدين والمجاهرة بالالحاد والدعوة اليه وفتنة المجتمعـات ، حيث كـان الوقت مناسباً ، وبالتالي سيطرة الـذين يكمنون خلف هـذا النظام ، وجعـل الشعوب تتحرك وفق هواهم ، وتسير المجتمعات حسب مخططاتهم •

واذا كان ماركس يعتقد أن الدين أفيون الشعوب فهو قـد غيّر دينه ، وبدل عقيدته ظاهرياً[1] ، فاذا كان صادقاً فيما يعتقد فلماذا هـذا

---

(۱) وذلك انه ترك اليهودية وتنصر •

التغيير مادام الدين لاقيمة له أصــلاً ، والأديان كلهــا سواء . حسب زعمه . ان هذا التغيير كان عملاً سياسياً ومناورة واضحــة يستطيــع بعدها أن يهاجم الديانة التي تعتنقها أكبر مجموعة بشرية في العالم وهي النصرانية وهو منهم ، اذ لا يستطيع أحد أن يهاجم ديانة إلا إذا كان من أتباعها ، وإلا وقف معتنقوها جميعاً في وجهه .

لقد أطلق ماركس هذا الحكم [1] ــوهو الفيلسوفــولم يطلع إلا على بعض جوانب دينه المهجور والمدّعى ، أما الاسلام ومعظم الديانات الاخرى فلم يعرف شيئاً عنها . ولقد كان معظم قادة هذه الفكرة يــوم استلمت السلطة مــن أتباع دين ماركس الأول علــى الرغم مــن قلتهم النسبية الضعيفة ومع مناداتهم بالانسلاخ من الــدين . كل هذا يعطي إشارة إلى الأصابع الخفية التي تعمل من وراء هذا التنظيم وهذه الفكرة.

هذه الفكرة بسبب التخطيط المنظم الذي تهيئه جماعة في الخلف يحجبها عن الأعين حجاب رقيق شفاف لمن ينظر بعين بصيرة خالي الهوى مجرد الفكر ، وبغطاء كثيف لمن ينظر بعين لا ترى النور ، وبسبب طاعة ذلك القطيع الفقير البائس الذي تصور له الشيوعية الحلم الزاهر والأمل العاطر ، فيحجز بين عقله والتفكير حاجز مــن الإسمنت المسلح لا يمكن اختراقه . حتى إذا تمّ للزعماء ما يريدون ودخل الفرد من هذا القطيع في فردوس الشيوعية المزعوم تمنّى لو لم يكن عمل ما عمل ولكن أنّى له،فاذا أراد الخروج ــووجدذلك الستار الحديدي ،وعرفتلك القبضة الحديدية ــ استكان ، وخنع ، ومشى مع القطيع كما تطلب الفكرة مــن أتباعها أن يكونوا منفذين دون اعتراض ومنقادين دون نقاش وخاضعين لرأي القادة والزعماء ما دام يسيطر على العالم نظام يتطــور باسلــوب

---

(١) اي : الدين أفيون الشعوب

مادي بحت لايمكن تغييره، والانسان فيه معدوم وتأثير العقل عليه ركام لايمكن تحريره ، والبشر يتجه حسب خط لايمكن تطويره ووفق منهج لا يمكن تحويره ، وكل مخلوق لا ينفعه تفكيره سوى القادة الشيوعيين الذين يفكرون نيابة عن القطيع ، وكل افراد القطيع عليهم أن يستقوا من هذا التفكير ، ولا يحق لهم أن يروا إلا من هذا المنظار .

بسبب ما ذكر وبسبب ظروف دولية أحاطت بالمجتمعات آنذاك ، وبسبب أوضاع خاصة وجدت في روسيا استطاعت هذه الفكرة أن تتسلم السلطة ، وأن ترث القيصرية الروسية وسارت على نهجها على الرغم من أنها كانت تحاربها ، فأخضعت المسلمين والذين كانوا تحت النفوذ الروسي القيصري لحكمها ، واقتفت آثارها في إذلالهم وتشريدهم إحلال الروس محلهم ان وجدت في أرضهم مايغريها من خصوبة ، أو في مواقعهم من منعة أو في ثروتهم من وفرة ، وبهذا نشأت امبراطورية روسية حديثة أطلق عليها اسم الاتحاد السوفييتي حلت محل امبراطورية روسية عجوز ، وان اختلف المنهج الاجتماعي وتبدلت الفئة الحاكمة .

وبسبب الظروف الدولية أيضاً ونشوء دول كبرى طامعة وأخرى مخاصمة لها ، وبسبب التقاء النظامين الكبيرين في عدائهما للاسلام ، استمر المسلمون تحت النفوذ الشيوعي في وضع سيء ، وتحت ضغط شديد فلم يرتفع صوت للشعوب المسلمة في ظل ذلك النظام ، واستمر ذلك والشيوعية في وضع يمكّنها من المحافظة على وضعها حتى اشتعلت نار الحرب العالمية الثانية .

انتهت الحرب العالمية الثانية ، وخرجت السلطة الشيوعية ظافرة فيها بجانب الحلفاء ، وامتد نفوذها شرقاً وغرباً ، ففي الشرق نجح الشيوعيون في اغتصاب السلطة،وتسلّموا الحكم في الصين،فضمّوا المناطق الإسلامية التركستانية التي بجوارها إليهم نهائياً ، وفي الغرب اتسع النفوذ

الشيوعي في أوروبا الشرقية فأصبحت ألبانيا الدولة المسلمة في قبضتهم ، وأضحى المسلمون في شرقي تلك القارة يخضعون لذلك النفوذ ويكتوون بناره . وبهذا أصبح الصراع الدولي أكثر قوة ، وأوسع أرضاً حيث تقارب النظامان في نفوذهما ، وغدت الأصابع المخططة تعمل بحرية أكبر وتجد المجال الأرحب لتنفيذ مخططاتها .

لم يلبث هذا النظام الشيوعي ان انقسم على نفسه ، حيث ظهر لمن مارس تطبيق هذا النظام عدم واقعيته وعدم امكانية تطبيقه كما جاء نظرياً، إضافة إلى التأخير الذي لحق الدولة من جراء تطبيقها هذا النظام ، فرأى التطوير فيه من أراد أن يساير ركب مظاهر الحضارة المادية العالمي ، فحوّر فيه بعض الشيء وغيّر ، ووقف في وجهه من وقف ، فبدأت التصفية الداخلية واستمر التطوير ، وفاز أتباعه ، هذا إضافة إلى بعض الخلافات المحلية في هذا الجزء الواسع من العالم من مفهومات وعقليات ورواسب ناجمة عن المحيط والوسط ، وإن التطبيق الذي يتمّ بالقوة والاكراه لا يمكن أن يتم في الرخاء ، بل لا يمكن أن يرى الناس ذلك الرخاء ، فلا يمكن أن يزداد الانتاج ولا ينمو التفكير إلا عند بعض أشخاص عاشوا عيشة خاصة في ظل المشرفين على النظام وفي عهدتهم فلم يشعروا بالبؤس الذي يحسّ به الشعب ، ولهذا أعطوا المجتمع صفة التقدم العلمي الآلي وتطبيق العلم على العمل .

ظهرت الصين على رأس قسم من الدول الشيوعية انضمت اليه البانيا ، ويرى هذا الطرف انحراف الروس عن الفكرة الشيوعية كما جاء بها سدنتها ماركس ولينين ، وكان على رأس الجانب الآخر روسيا وبجانبها دول أوربا الشرقية ، وترى عدم مرونة الصين في معرفة حقيقة الشيوعية التي لا تحصل عليها إلا أثناء التطبيق ، والجمود على حرفية النصوص ومفهوم النظريات أمر عقيم لا يأتي بخير ، وقد

أدى هذا الخلاف إلى صدام على الحدود ، هذا إضافة إلى يوغسلافية ذات النظام الشيوعي الخاص فهي تمسك بيدها الواحدة الشيوعية باسم النظام ، وتقبض بيدها الثانية على الاتجاه الغربي باسم السياسة •

إن الاتفاقات بدأت تظهر في الآونة الاخيرة بين قادة النظامين المتباينين ظاهرا بمختلف أجنحة النظام الشيوعي وأطرافه ، وبدأت تطفو على السطح أمور بقيت خافية مدة عن الأعين اكسبت الدعاية لهذا النظام الشيوعي ، وجعلت سلاح خصومه يبدو وكأنه ضعيف من وجهة النظر الوطنية ، وبظهورها انجلى الموقف ، وظهر التعاون بين خصوم الأمس وخاصة فيما إذا كانت القضايا تمس المسلمين ، أو مايتعلق بهم من الأمر •

وعلى الرغم من الخلافات بين أجنحة النظام الشيوعي إلا أن موقفها واحد فيما يتعلق بالاسلام ونظرتها واحدة إلى المسلمين لا تختلف ، وهو ما يهمنا في هذا الموضوع فهي :

١ ــ تعدّ الاسلام عدوها الأول لأنها تجد فيه النظام الكامل الذي يمكن أن يقف أتباعه ضدها وهم على أرض من الصخر ، يبزّون بآرائهم آراءها ، وبنظامهم نظامها الاجتماعي والسياسي والفكري والاقتصادي ويفنّدون مزاعمها • وفي الوقت الذي خنع فيه أتباع الديانات الأخرى فان المسلمين لا تزال فيهم بقية باقية من عنصر الايمان يحرّكهم للثورة ويدفعهم للانقضاض على الشيوعية ــ مهما قيل في ذلك ــ فيما لو اتيح لأولئك المسلمين الظرف المناسب والدعم ، بل فيما لو قلّ الضغط عنهم شيئاً • لذا فإن الضغط دائم ومستمر ، والمراقبة والحذر واضحان بشكل قوي •

٢ ــ إن البلاد التي يسيطر عليها الشيوعيون على تماسّ مع بلاد المسلمين لذا فقد ضمّ هؤلاء الشيوعيون بعض أجزاء بلاد المسلمين إليهم

مباشرة ، واحتوت السلطة السكان ، وابتلعتهم ،وعدّتهم وأرضهم جزءاً من الأرض التي تسيطر عليها وأهلها ، وحالت دون اتصالهم بالعالم الاسلامي خاصة وبالخارجي عامة . ولو كانت الأرض التي تخضع للنظام الشيوعي بعيدة عن الأمصار الاسلامية لما قام لذلك النظام دور في ديار الاسلام ، ولما استطاع السيطرة على شبرٍ واحد نتيجة الغزو الفكري ، وحتى كل ما حصل فانما حدث نتيجة السيطرة العسكرية .

٣ ـ تضرب بعنف ، وهي مستعدة للقضاء على كل من تثار حوله الشكوك بأقل الشبهات ولو أدى ذلك إلى قتل شعب كامل من الشعوب التي تتألف منها الامبراطورية الروسية ، والمذابح معروفة عند الشيوعيين ولا حاجة للدليل عليها .

٤ ـ تهجّر المسلمين الذين تكره وجودهم في منطقة لأقل الاسباب، تبعدهم إلى مجاهل سيبريا ، وتنقل الروس إلى أرضهم ، وهي بهذا تقلل نسبة المسلمين في المنطقة ، وتفقرهم ، وتشدد قبضتها على هذه البقعة بالروس الجدد ، وتدّعي أن المنطقة روسية .

٥ ـ تقوم بحرب شاملة ضد المؤسسات الاسلامية والمساجد والآثار، وتعمل على تهديمها وإزالة معالمها وإذا ابقت بعضها فللاستفادة منها في أمور منكرة تخالف الدين كجعلها حانة خمر أو مرقصاً أو ملهى للاستهزاء بالدين وإزالة أثره من نفوس الشعب ، أو لابقائها مفتوحة للدعاية عند قدوم وفود تحملهم إليها .

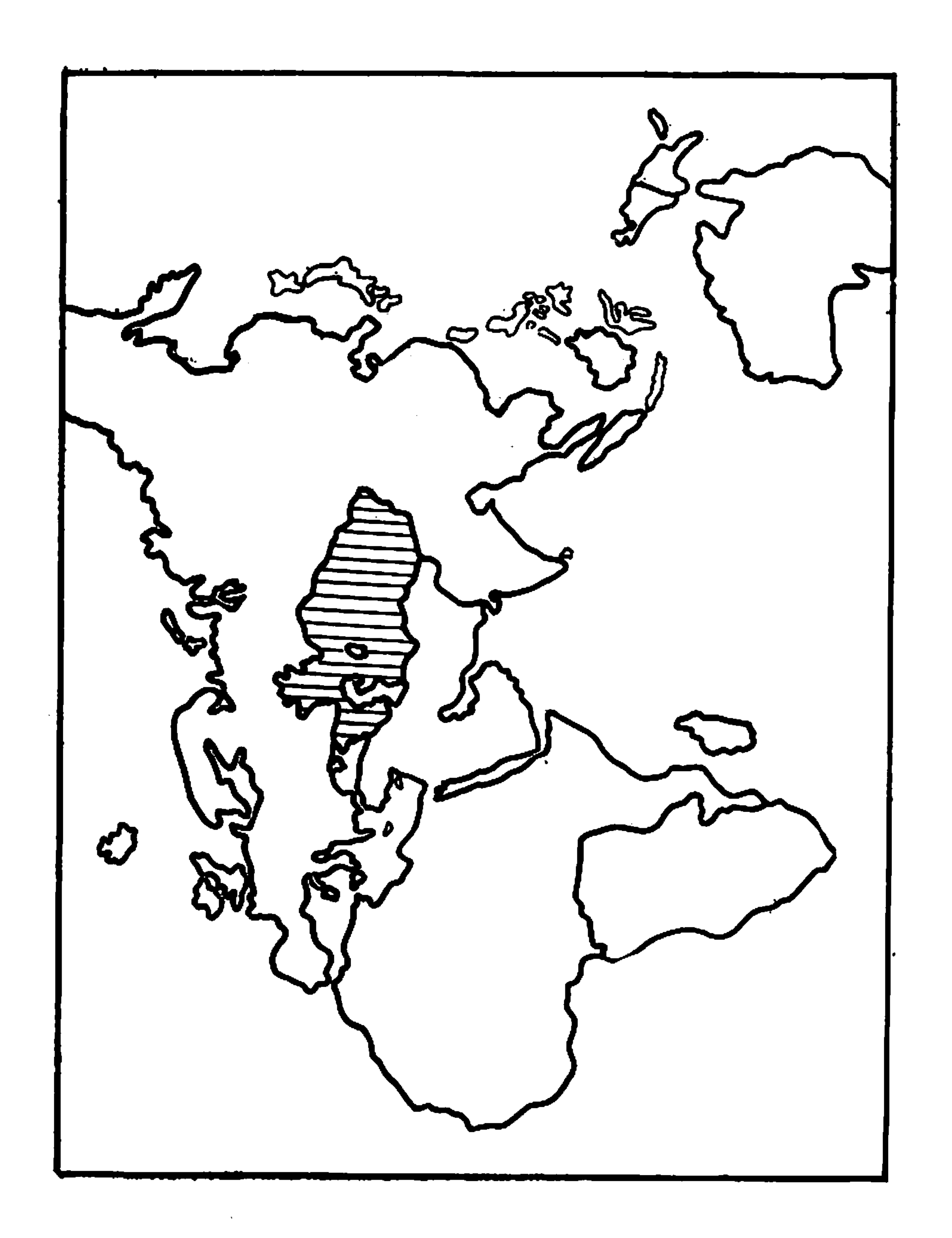
٦ ـ تلغي الماضي ، وتغيّر الاسماء وتبدّل الاماكن لتفصل بين السكان وماضيهم ، وتعدّ تاريخهم منذ أن طبق عليهم النظام الشيوعي .

٧ ـ تمنع صلة المسلمين في المناطق التي تسيطر عليها مع العالم الاسلامي عامة ومع العرب خاصة ، فهي تشنّ حرباً شاملة على اللغة

العربية وبقية لغات العالم الاسلامي المعروفة ، وتفرض لغتهـا الرسمية عليهم •

ولما كانت هذه المناطق الاسلامية تخضع لعدد من الدول التي تأخذ بالنظام الشيوعي فإننا سنضطر إلى القاء نظرة عامة إلى هذه الأمصـار حسب الدول التي تتبع لها أو حسب لغات شعوبها ومواقعها الجغرافية ، ولنبدأ من الشرق إلى الغرب •





البَابُ الأوّل

المُسلمُون تحتَ السَّيطرةِ الصِّينيَّة

تركستَان

تركستان منطقة واسعة في وسط آسيا ، تجعل منها الجبال التي في وسطها منطقتين ، وإن لم يكن لعامل الأرض عظيم قيمة ، وسكانها شعب واحد وإن لم يكن لرابط الجنس كبير أثر ، عرفت بهذا الاسم نسبة إلى القبائل التركية التي تنتقل في أرجائها . وصل اليها المسلمون منذ فتوحاتهم الأولى فدانت لهم ، وأقاموا فيها حكم الله ، حتى اذا غلبت عليهم الدنيا ضعف أمرهم فغلبتهم التفرقة،وهزمتهم الجيوش ثم تقاسمتها الدول، فأخذ الروس قسمها الغربي حتى عرف باسم (تركستان الروسية) وسيطرت الصين على جزئها الشرقي حتى عرف باسم (تركستان الصينية) على الرغم من أن المنطقة كاملة تشكل جزءاً من الأمة الاسلامية .

الفصل الأول

تركستان الشرقية (الصينية)

تركستان الشرقية منطقة قارية تماماً ، فهي أبعد مكان في العالم عن البحر . كما تحجزها الجبال العالية أيضاً ، فجبال هيمالايا الشاهقة تمنع وصول أثر المحيط الهندي إليها ، وتبعد عنه مسافة ١٩٣٠ كم ، ولذلك فالحرارة شديدة صيفاً والبرودة شديدة شتاء ، وتتألف تركستان الشرقية من خمس مناطق :

١ ــ جبال آلتاي في الشمال ، وتفصلها عن منغولية ، يقع القسم الأعظم منها في منغولية ، ويصل ارتفاعها إلى ٤٠٦٠ م ، وكانت هذه الجبال موضع نزاع في تخطيط الحدود .

٢ ــ حوض زونغارية : ويقع بين جبال آلتاي في الشمال وجبال تيان شان في الجنوب ، وفي غربي هذا الحوض ممرات عالمية تصلها بتركستان الغربية أشهرها : طريق الحرير وبوابة زونغارية .

٣ ــ جبال تيان شان : ويصل ارتفاعها إلى ٧١٥٨ م ، ونظراً لهذا الارتفاع فان الثلج يغطي قممها ، ويشكل الجموديات .

٤ ــ صحراء تاكلا ما كان : ويطلق عليها حوض تاريم ، وهي صحراء واسعة تصل مساحتها إلى ٦٤٧٫٢٢٠ كم^2 أي بقدر مساحة العراق وسورية ولبنان ، وهي أكثر الصحارى جفافاً في العالم ، وتنعدم فيها الامطار تقريباً ، ويختفي النبات ، وتستحيل الحياة عدا ما كان في بعض الواحات عند مخارج الأودية .

والسفر في هذه الصحراء متعب فمعالم الطرق متغيرة ،وارتيادهـا شاق وكثيراً ما يهوي المرء في مهاويها ، ويجري فيها نهر (تاريم) الذي يبلغ طولـه ١٥٠٠ كم ، وتسمح له غزارتـه باجتياز هـذه الصحراء ، ويتشكل نهر (تاريم) من ذوبان الثلوج المتراكمـة على الجبال ومـن جداول صغيرة تقوم عليها المدن مثل (يارقند) و (كاشغر) و (آقصو) •• وغيرها ، وأحياناً تتبخر المياه في الجداول قبل أن تصل إلى النهر •

ويمكن أن يلحق بهذه الصحراء منخفض (طرفان) الذي تحيط به الجبال ، وينخفض ٢٧٨ متراً عن سطح البحر •

٥ ـ جبال التين تاغ : وتعزل هذه الجبال التيبت عـن تركستان ، ويصل ارتفاعها إلى ٦٠٠٠ متر • هذه المنطقة تقوم فيهـا زراعة الحبوب من قمح وشعير وذرة ، كما يجود فيها القطن ويزرع التبغ على السفوح ، وتكثر الفاكهة كالعنب ، ويعرف البطيخ الاصفر •

وتنتقل القبائـل إلى السفوح الجبلية صيفاً حيث الأعشاب والكلأ والمروج نتيجة ذوبان الثلـوج وتعـود شتاء إلى الأوديـة ، وهي تربي الأغنام والماعز وحيـوان (الياك) في السفوح الجبليـة ، والابقـار في الواحات ، والجمال ذات السنامين في قلب الصحراء •

وعلى الرغم من أن الدراسات الجيولوجية لا تزال ضئيلة فانها تدل على وجود كميات كبيرة من الفحم الحجري وكميات مـن النفط ، ثـم هناك الاورانيوم والرصاص والتوتياء والتنغستين والصـودا والملـح وتقدمت الصناعة أخيراً وخاصة النسيجية منها •

وتركستان ذات موقع تجاري ، وفيها ممرات وطرق عالمية •

الحياة البشرية :

تبلغ مساحة تركستان الشرقيــة ١٫٧١٠٫٧٤٥ كم² أي أكبر مــن مساحة ليبية بقليل ، وتساوي مايقارب عشرة أمثال مساحة الجمهوريــة العربية السورية ، ويبلغ عدد سكانها ثمانية ملايين نسمة ، فالكثافة قليلة لا تزيد على خمسة أشخاص في الكيلو متر المربع الواحد ، وليست قلــة الكثافة هذه نتيجة ضيق الأرض الزراعية فحسب وإنما تعود أيضاً إلى الاحداث التي مرت على البلاد ، والنكبــات السياسية التي اجتاحتهــا فقلبت العهد الزاهر يوم كان الاسلام يحكــم تلك الارجــاء إلى اطلال وخرائب ، ومن يقيم اليوم على هذه البقعــة من الأرض لا ينتمي إلــى جنس واحد ، إذ جعلها موقعهــا التجاري عرضــة لمرور أجناس كثيرة ، ولدخول أقوام عديدة ، تأتي للسيطرة عليها ، وللمحافظــة على طرقهــا التجارية،أو تعمل في التجارة ثم تستقر فيها ، أو فراراً من مناطقها المختلفة والتجاء إليها ، وأهم هذه الاجناس :

١ ــ الاويغور : ويشكلون ٨٠ في المائة من السكان ، ويسكنون النصف الجنوبي من تركستان الشرقية .

٢ ــ القازاق : ويشكلون ٩ في المائــة مــن السكان ، ويسكنون القسم الشمالي من المنطقة .

٣ ــ صينيون : ويشكلون ٥ في المائة من السكان .

٤ ــ القيرغيز والأوزبك : قدموا إليها من تركستان الغربية عنــد سيطرة الروس على أرضهم المتاخمة لهذا الجزء من البلاد .

٥ ــ المغول : وقد دخلوا البلاد في القرن السابع الهجري .

٦ ــ الهوي : وهم من أصل عربي ، وقد دخلوا البلاد في مناسبات عدة ، ولعل بعضهم كان مــن الفاتحين الذين قدموا مع قتيبة بن مسلــم الباهلي .

٧ ـ الروس : الذين فروا اليها مؤخراً هرباً من ظلم أبناء جلدتهم لهم ، وبعضهم ممن انتقل اليها عندما كانت هدفاً للاستعمار الروسي •

يبني السكان بيوتهم من الآجر المشوي أو الطين المخلوط مع القش، وتسند هذه المادة هياكل خشبية ، وتمتاز المنازل بضيقها ، وقرب بعضها من بعض ، وبدأت تظهر البيوت الحديثة في الآونة الاخيرة •

واللباس السائد هو القميص الطويل والسراويل ، وكلها مصنوعة من القطن الملون ، وهذا النوع من اللباس هو اللباس الشعبي •

انتشرت اللغة العربية بعد الفتح مع انتشار الاسلام، وأصبحت اللغة الرسمية والوحيدة ، وعندما ضعفت الخلافة عمت الفارسية ، ثم سادت التركية ، ويتكلمها السكان اليوم أما الكتب الدينية فهي بالعربية وتليها الفارسية ، والآن تفرض عليهم اللغة الصينية •

يدين أكثر من ٧٥ في المائة من السكان بالاسلام ، وهم جلّ السكان الاصليين ، أما الوافدون فقد احتفظ كل بديانته ، وقد غابت اليوم مظاهر الديانات •

وأشهر المدن : أورومجي : وهي العاصمة وتحمل اليوم اسم (تيهوا) •
وكاشغر : وقد اطلق عليها الشيوعيون اسم (شوفو) و (يارقند) وتسمى حالياً (سوجي) •
و (خوتان) وسماها الحكم الجديد (هوتين) • و (آقصو) وحملت اسم (ونسوه) ، وواحة (حامي) وعرفت باسم (كومول) هذا اضافة الى واحة (طرفان) •

وهكذا فقد تغيرت اسماء المدن لينقطع حاضرها عن ماضيها الاسلامي الزاهر ، وعُدّ تاريخ المنطقة بدءاً من تطبيق النظام الشيوعي عليها ، ونُسب الى الماضي كل صفات السوء من جهل وفساد ، واختلال لنظام الأمن ، وانتشار الخرافات والعقائد الباطلة التي صنعتها

(البورجوازية) واطلق عليها اسم (الدين) .

تطلع الصينيون الى حكم منطقة تركستان منذ القديم لكثرتهم حتى كادت الأرض تضيق بهم على رحبها وسعتها على حين أن تركستان وهي نجاورهم فقيرة السكان ، قليلة الموارد ، ولكنهـا في الوقت نفسه ذات مركز تجاري مهم ، فقد حكمتها اسرة هان الصينية منذ عام ٢٠٠ ق م ، ولم يكن الحكم الصيني هذا مستمراً ، كما لم يكن يعمل لاعمار البلاد وإنما كان الصينيون تجاراً يقيمون في الواحات ، ويشرفون على الطرق الرئيسية ، وهكذا كان الاستعمار الصيني آنذاك يكتفي بتأسيس مراكز له يسيطر منها على مايريد ، وكانت الزعامة والسيطرة هي التي تحتل المركز الأول في المجتمعات ، فأقام الصينيون في المواقع ذات الاهمية الخاصة ، وأخذوا الاتاوة من القوافل ، والضرائب من الشعب ، وعاشوا حياة العزة والكبرياء حاكمين مترفين وأغنياء موسرين .

ثم وصل العرب المسلمون الى تركستان ، فبعد أن فتحوا بلاد ما وراء النهر بقيادة قتيبة بن مسلم الباهلي عام ٩٥ هـ ، ووصلوا الى حدودها الشرقية ، الى سفوح تلك الجبال الشاهقة ، أعلى جبال العالم هناك حيث تنتصب هضبة بامير التي تسمى سقف العالم وجبال تيانشان وغيرها من المرتفعات الشامخة تلك الحواجز المنيعة ، لم تحل دون تقدمهم ولم تقف أمام هدفهم ومقصدهم ما داموا لا ينظرون إلي الارض ولا يفكرون إلا في الجنة ولا ينتظرون النصر إلا من الله ، فلو كانت غايتهم السلب والنهب أو الفتح والقتل أو الاحتلال والاستعمار لثقلت بهم الخيل ، وحطّت بهم الهمة ، وفترت فيهم العزيمة ، ولو كانت غايتهم الوصول الى أماكن منيعة تقيهم شر الجوار ، وتدفع عنهم خطر الاعداء لكانت هذه الحدود أفضل ماأوجدته قدرة الله ، ولكانت الفتوحات توقفت عند أقدامها بما سجلته من انتصارات ، وكما اجتاز المسلمون هذه المواقع في المشرق كذلك

اجتازوها في المغرب ،فركبوا البحر الذي حال بينهمويين أوروبا وسكانها، ولكنه الايمان الذي دفعهم الى ان يتجشموا المخاطر ، ويركبوا المخاوف غير مبالين .، ولو كانت غايتهم المال والمغانم لما وصلوا في الأصل الى تلك الامصار النائية والاقاليم البعيدة ، ولاقتصر زحفهم على المناطق الخصبة والارجاء الغنية ولابتعدوا عن الصحارى المجدبة والأجزاء الماحلة والقفار الواسعة والتي كانت في الواقع تشهد أكثر معاركهم وتقدم جيوشهم وتحركاتها وهي لا تنتج إلا الشوك ولا تنبت إلا القتاد . ولو كانتغايتهم السيطرة لاكتفوا باحتلال المراكز الهامة والمواقع ذات الاهمية خاصة وان جندهم قليل وعددهم ضئيل ،ولكان عملهم عمل أوائل المستعمرين من الاوروبيين . ولكن كانت غايتهم اعلاء كلمة الله ونشر العقيدة واخراج الناس من الظلمات الى النور .

اندفع المسلمون في تلك الجبال ، واجتازوا قممها ، ونشرواالاسلام في ربوعها ، ولم يلووا اثناء تقدمهم على شيء ، ولم يفكروا بأرضهم ولم يرتبطوا بترابهم ، ولم يخافوا على أهليهم من بعدهم حيث إن وليهم الله ، فلو فكروا لأضاعوا النصر وخسروا المعركة ، وعادوا إلى الموطن الذي ارتبطوا به ينتظرون الغزاة لتستذلهم ، وتطأ ديارهم ، وتجوس خيول اعدائهم أرضهم ولقد طلب المسلمون الموت فوهبت لهم الحياة ، وسادوا الدنيا عندما طلبوا النصر من السماء ، وعندما ارتبطوا بالارض واخلدوا اليها أضاعوا أرضهم ، واذلهم الله حتى سلط عليهم شذاذ الآفاق من اليهود .

انحدر المسلمون على السفوح الشرقية لتلك الجبال يرفعون راية الاسلام ، وينشرونه بين السكان الترك .

توقف انتشار الاسلام بتوقف الفتوحات الكبرى ، واضطراب النظام الداخلي وكثرة الأحداث ، ولكن اذا كان قد توقف انتشارالاسلام

والعمل له عن سبيل الجيوش والغزوات ، فان العمل له لم يمت في قلوب المسلمين ، ولم يضعف من نفوس المؤمنين ، ففضل كثيرمنهم العمل بشكل شخصي والتفرغ للدعوة إلى دين الله ، والانزواء عن الميدان السياسي والابتعاد عن الاحداث داخل البلاد راغبين في الثواب والاجر في هداية البشر ، كما أن بعضهم انتقل تاجراً في البلاد ، وركب بعضهم الآخرالبحر ولم تكن التجارة سوى وسلية للاتصال بالأهلين والدعوة الى الاسلام ، وهذا ما ساعد في دخول أعداد من الناس في دين الله .

اعتقد الصينيون ان المسلمين قد ضعفت قوتهم ، واضمحلت شوكتهم ، وذهبت ريحهم نتيجة الخلافات الداخلية اثناء قيام دولة بني العباس وزوال دولة بني أمية ، فتقدم جيش صيني نحو الغرب عام ١٣٤هـ ـ ٧٥١ م ،فأسرع المسلمون للاقاته وهزموا ذلك الجيش الصيني،وطردوه من تركستان واستمر الحكم الاسلامي فيها . ولكن غلبت على المسلمين بعد ذلك الدنيا ، واستبدت بهم الاطماع ، وما غلبت الدنيا على قوم إلا فرّقتهم ، وماتفرق مجتمع إلا انصرف افراده بعضهم الى بعضهم يتقاتلون، وماتقاتل أبناء شعب إلا أذلهم عدوهم ، وقهرهم خصمهم .

حكم المغول الصين ، وسيطروا على تركستان ، واستعملوا بعض العمال المسلمين فساعد ذلك على انتشار الاسلام ، كما أن المغول أنفسهم دانوا بالاسلام بعد مدة ، فأسلم سكان الشمال والغرب .

عاد الصينيون للسيطرة على تركستان ، ولكنهم في هذه المرة بدأوا يستولون على البلاد جزءاً جزءاً ، فما تركوا نقطة إلا وكانت تحت اشرافهم ومراقبتهم ، كما تسللوا الى الحياة الاقتصادية من زراعة وصناعة وتجارة في جميع أرجاء المصر ، لانهم لم يستطيعوا في هذه المرة القبض على زمام الأمور باحتفاظهم بمراكز قليلة دان سكانها بالإسلام ، وأصبحت لهم

شخصية متميزة ، وما امتاز انسان بشخصية الا وكانت لـه الكرامـة ، والكريم يرفض الذل والعبودية ، ويطلب العزة والاستعلاء وما امتازت دولة بشخصيتها إلا وكانت لها المنعة والقوة والغلبة .

وقد ادركت الصين ان هؤلاء القوم اليوم غير ما كانوا عليه بالامس، فقد قلبهم الاسلام من أناس يقبلون الذل والخنوع ويرضون بالاجنبي إلـى اناس يرفضون الاستعمـار والعبوديـة ، ويرفضون الوصايـة والواقع الأليم وحكم الدخيل . كما ادركت الصين ان السيطرة عليهـم توجب الاشراف على مرافق الحياة كلها ، وتوجيه أجهزة الدولة كافـة ، وليتمكن الصينيون من الاستمرار في الحكم عمدوا إلى اضعاف شخصية التركستانيين ، وذلك بإبعاد الإسلام عن النفوس،ثم جعلهم يرتبطون معهم في نظـام اقتصادي واحد ومعركة سياسية واحدة ، وبذلـك تضمحـل شخصيتهم ويقبلون الذل ، فيمكّن هذا للصين في الحكم ،ولكن ذلك لم يتم بشكل سهل ، ولـم يحدث بلا مقاومة ، فقـد قامت ثورات كبيرة ، وأريقت دماء كريمة ، وسقط شهداء بررة في سبيل المحافظة على الشخصية الاسلامية وتميزها عن غيرها في الاقتصاد والسياسة والحكم ، فما ارتبط شعب بغيره الا اضمحل كيانه واصبح ملحقاً بغيره لا قيمة له بين الشعوب، وما سار مجتمع في مركب سواه الا ذابت شخصيته وانعدم مركزه وأضحى تابعاً لغيره من المجتمعات تحركه بيدها وتسيره حسب اشارتها وعندئـذ يصل الى مرحلة الموت .

وجاءت الاسرة المانشورية إلى حكم الصين عام ١٠٥٤ هـ ١٦٤٤ م واستمر حكمها أكثر من ثلاثة قرون حتـى ١٣٢٩ هـ ـ ١٩١١ م فقـد اضطهدت هذه الأسرة المسلمين، وسامتهم سوء العذاب،فصادرت أملاكهم وأخذت أموالهم ، وانتهكت حرماتهم ، مما جعل الثورات تندلع في كل مكان من قبـل المسلمين ، وأعيت الحيلة الحكام في القضاء علـى هـذه

الثورات حيث لا تغلب العقيـدة بالسيف فلجـأوا الـى الدسائس بين المسلمين حيث فرّقوا صفوفهم،وأخمدوا ثوراتهم،وأخيراً استتب الأمـر للصين وقد خسر المسلمون في هذه الثورات ربع عندهم ،ولكن اذا كانت الثورات لاتبالي بالضحايا ، ولا تنظر دعوة الحق إلى ما تخسره أبنـاء الطريق،فالدرب وعر وشائك ومحفوف بالمكاره،ولابدّ من الوصول إلا انه يجب الاستعداد والتوقيت الواحد ، واختيار الزمن لا أن تجرّ الى المعركة في الوقت الذي يريده العدو وهذا ما كان ينقص الثورات التي اندلعت في تركستان وعموم الصين . وبعد أن أخمدت الثورة في انحاء البلاد كافة أخذت الدولة الصينية بيدها أمر الادارة ، وجعلت على كل مدن تركستان الكبيرة مفوضاً امبراطورياً وقائداً عسكرياً .

وفي عام ١٣٤٧ هـ ــ ١٩٢٨ م اغتيل حاكـم تركستان الصيني ، وأعقبه قيام ثورة ضد الصين ، وكانت روسيا آنذاك تطمع بمدّ نفوذها إلى شرقي تركستان فقدمت المعونة والدعم للمجموعات المتحاربة وأخيراً كان دعمها للصين وقضي على الثورة ، وبقيت قوات روسيا بجانب قوات الصين في تركستان ، وفي الحرب العالمية الثانية أرسلت حكومة روسيا إمدادات عسكرية إلى حكومة الصين الوطنية عن طريق بوابة(زونغارية)، ولكي يحمي الروس خطوط امداداتهم أقاموا مراكـر عسكرية فـي (زونغارية) وكانوا يهدفون من وراء ذلك مدّ نفوذهم في تركستان .

اضطرت روسيا إلى الانسحاب من تركستان الشرقية عام ١٣٦٢هـ ــ ١٩٤٣ م ، وقد أخذت معها جميع المنشآت الاقتصادية التي أقامتهـا في البـلاد .

وفي اعقاب الحرب اندلعت عدة ثورات في المنطقة بدعم من منغولية وروسيا ، وفي عام ١٣٦٨هـ ــ ١٩٤٩ م قامت مجموعة من القازاق بثورة ضد الحكومة الصينية ، واستطاعت القضاء على قوات الحكومة المحلية،

بما حصلت عليه من دعم ، واعلنت قيام جمهورية تركستان الشرقية ، وكان نفوذ الروس قويا . وشرعت الشركات الروسية سراً في استغلال الثروة المعدنية في تركستان .

نجح الشيوعيون في السيطرة على الصين ، وضموا تركستان اليهم وأطلقوا عليها اسم (سينكيانغ) أي : المقاطعة الجديدة ، وبدأوا بنقل السكان الصينيين اليها . كما وقعوا في خلافات مع الروس حول الاستثمارات في المنطقة .



الفصل الثاني

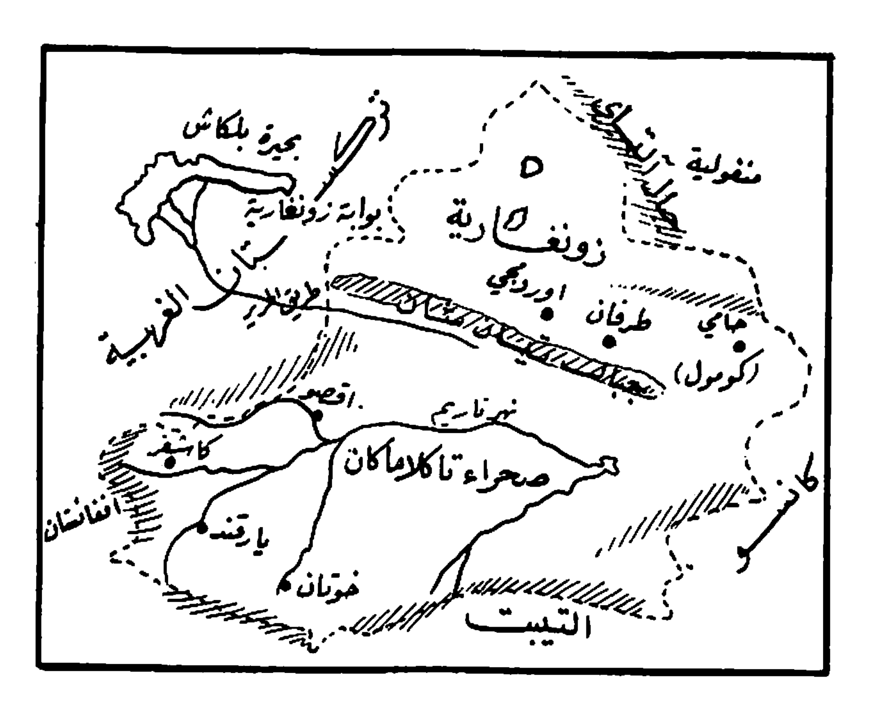
المسلمون في الصين

ليست تركستان الشرقية المنطقة الاسلامية الوحيدة في الصين اليوم،وانما هناك مناطق أخرى،فالمسلمون ينتشرون في كل أجزاء الصين كانت نسبتهم تختلف بين مقاطعةو أخرى،فهناك مناطق يغلب عليها الاسلام وأجزاء يندر فيها أتباعه ، هذا التوزيع ناتج عن الطرق العديدة التي انتشر فيها الاسلام في تلك الارجاء وعن أهداف الحكومات الصينية المتعاقبة .

ان دخول الاسلام إلى الصين عن طريق التجارة البحرية،جعل المسلمين يتوزعون في المناطق الساحلية ،وخاصة في المراكز الكبرى مثل (كانتون) و (شانغهاي) ومدن (شانتونغ) .

ودخول الاسلام الى المناطق الصينية الوسطى كان عن طريق التجارة الداخلية وتنقل الدعاة في تلك الفيافي ، لذا فهم يقلون في هذه الانحاء عدا يونّان التي حكمها بعض المسلمين فانتشر الاسلام فيها .

أما المناطق الغربية من الصين فقد كثر فيها المسلمون نتيجة القرب من المناطق الاسلامية واتصالها مع تلك الامصار التي فتحها المسلمون أيام فتوحاتهم الواسعة ، مثل (كانسو) و (يننغ هسيا) التي تعدّ من(كانسو)



ففصلها الاستعمار عنها ، وهذه المنطقة جزء من العالم الاسلامي وتتمة له في الشرق .

ويمكن أن نضيف أسباباً أخرى لهذا التوزيع وهو أن حكام الصين كانوا يخشون من رعاياهم المسلمين ، ويحذرونهم ، ويعلمون رغبتهم في تجمعهم لتكوين أمة ، وإقامة حكومة لهم مستقلة تأخذ بتعاليم دينهم ؛ والعقيدة وحدها هي التي تحملهم على تكوين أمةواحدة مختلفةعن غيرها متميزة بشخصيتها وأفكارها ، لذلك عمد الحكام الى توزيعهم فيمختلف أجزاء ذلك البر الصيني الواسع بشتى الطرق كالتوظيف والنقل والاكراه في أكثر الاحيان .

وعلى كل حال فعدد المسلمين في الصين يزيد على ٧٠ مليوناً ، وهو عدد غير قليل ، ولا يستهان به ، وهم يحاولون ان يتقصوا أخبارنا ،ونحن

نجهل كل شيء عنهم على الرغم من كل مايقال ، وأودُّ هنا أن أورد جملة لرئيس وزراء الصين الشعبية قالها لاحد الوزراء العرب أثناء زيارتـه للصين عام ١٣٨٥ هـ : (ان العرب الآن هم أشـد الامم إهمالا للسياسة والاستفادة من الظروف وكسب ود الشعوب فان العـرب ٦٠٠ مليون مسلم ، ويستطيعون أن يحركوهم حسب إشارات أصابعهم بكلمة واحدة هي (محمد) ان استطاعوا أن يحسنوا الصلـة بهم ، وان في الصـين عشرات الملايين من المسلمين ،وعلى الرغم من جهلهم بالاسلام فانهم اقرب اليكم منا) ٠



الباب الثاني

المسلمون تحت السيطرة الروسية

يسيطر الروس على مناطق واسعة من البلاد الاسلامية ، ونظراً لهذا الاتساع فاننا سنقسمها الى أربع مناطق جغرافية وهـذه المناطـق الأربع تتفق مع التقسيمات الادارية حسب الاجناس،ومع تاريخ انضوائها تحت السيطرة الروسية ، وهي :

آ ــ تركستان الغربية •
ب ــ المسلمون في روسيا •
جـ ــ سيبيريـا •
د ــ قفقاسيا •

الفصل الأول

تركستان الغربية

الحياة الطبيعية :

في أواسط آسيا ، وبين المرتفعات تمتد حوضة كبيرة كانت تملؤها المياه ، ردمتها الرواسب والمجروفات التي حملتها اليها الانهار المنحدرة من الجبال العالية المحيطة بها، والتي تتلقى الامطار لارتفاعها ،فتتشكل منها تلك المجاري المائية ، أما وسط الحوضة فمنخفض ،وبعيد عن أثر البحر مما يجعل الامطار قليلة ، وكان صيف المنطقة حاراً لاهباً ، فاستطاعت هذه الحرارة اللافحة أن تبخر كميات كبيرة من المياه المتجمعة في الحوضة ، كما أن شتاءها جاف بارد فلا تجلب الرياح الغربية إلا كميات ضئيلة جداً من المطر تهطل على جنوب الحوضة • هذا المناخ أتى على معظم المياه ولم يبق إلا آثاراً منها، أهمها : بحر (الخزر) وسطح مياهه دون سطح البحر ب ٢٦ متراً في شماله وبحر (آرال) أو بحيرة (خوارزم) وبعض المياه المتجمعة على شكل بحيرات صغيرة أو مستنقعات لقلة مياهها وشدة التبخر ، ولولا المياه الغزيرة التي تصل الى المساحات المائية الواسعة لزالت معالمها ، وانمحت آثارها •

في هذه المناطق الصحراوية عاشت قبائل فرضت عليها طبيعة المكان الارتحال وأجبرها الكلأ على الانتقال، يعود معظمها الى أصل تركي، وهذا الاصل هو الذي أعطى المنطقة الاسم •

تسبب الامطار التي لاتزيد على ٢٠٠ مم سنوياً إلى نمو نوع من الحشائش القصيرة التي يطلق عليها اسم استبس وفي المنطقة بعض المجاري المائية التي تتغذى من الجبال المرتفعة المحيطة بالمنطقة والتي تتلقى مزيداً من الامطار ، ومن ذوبان الثلوج المتراكمةعلى تلك الجبال هذه المجلري جعلت الحياة تقوم على ضفافها وعلى طول مجاريها حيث يسايرها شريط من الخضرة وهناك بعض الينابيع القليلة في المنطقة التي قامت حولها المدن والقرى ، فكانت واحات منتشرة فيقلب تلك المنطقة الجرداء وهذا ماجعلسكان المنطقة منذ القديم قسمين : بدو يرعون في مناطق الاستبس وحضر يسكنون الواحات ويستثمرون الاراضي التي تطالها مياه الواحات والانهار .

وتقوم زراعة الأشجار والثمار في الأودية الجبلية كما هي الحال في وادي فرغانة وفي الواحات وعلى ضفاف المجاري المائية ، ويساعد على نمو الفاكهة في هذه المنطقة الواقعة على درجات قليلة العرض كما يمكن زرع المزروعات الجافة كالقطن وغيره ويساعد على ذلك التربة اللحقية الغنية المؤلفة من المجروفات المتجمعة في تلك الحوضة والملائمة كثيرا للزراعة .

ومع التوسع العلمي تطورت الزراعة أشواطاً نحو الامام فأقيمت المشروعات الاروائية ومدت الأقنية مما أسهم في زيادة الانتاج ، وأصبح القطن والفاكهة من المواد الرئيسية الهامة ويضاف اليها زراعة الحبوب والشوندر السكري .

وكذا فان التقدم العلمي قد دفع الدولة لاستثمار الثروات المعدنية الدفينة في باطن الارض وكانت المنطقة ذات موارد هائلة من الكروم والرصاص والنحاس والتوتياء اضافة الى الحديد والذهب والفضة

وغيرها كثير من نفط ومنغنيز، بل إن المنطقة لتعدّ أغنى مناطق الامبراطورية الروسية ، وتتقدّم أكثر من نصف النحاس والرصاص والتوتياء الذي تنتجه الامبراطورية ، كما تعدّ أولى مناطق العالم بانتاج الكروم هـذا بالاضافة الى بقية المعادن الموجودة فيها .

كما تربي المنطقة أكثر من ربع الماشية في الامبراطورية .

الحياة البشرية :

يقيم في هذه المنطقة الواسعة التي تقرب مساحتها من أربعة ملايين كم٢ أي قريبة من مساحة آسيا العربية ، يقيم على أرضها أكثر من ٣٥ مليون نسمة ، وبهذا فالكثافة لاتصل إلى أكثر من ٩ أشخاص في الكم٢ الواحد ، وهي كثافة قليلة لذا فقد جاءتها موجات من الروس المستعمرين يحكمون في المنطقة ويستثمرون خيراتها ، ويشددون قبضة حكومتهم على سكانها .

إن تسعة أعشار السكان من الاتراك المسلمين ، ومعظمهم مـن أهل السنة ، إلا أن هناك ثلاثـة ملايين من الشيعة يعيش أغلبهم في جمهورية (طادجكستان) ويوجد ١٠٠ الف اسماعيلي في هضبة بامير ، وهم من أتباع (آغا خان) ، ولهم اتصال بالهند وليس للشيعة أي عطف عـلى العرب أو تركيا وانما تجد ايران منهم كل عطف وتقدير .

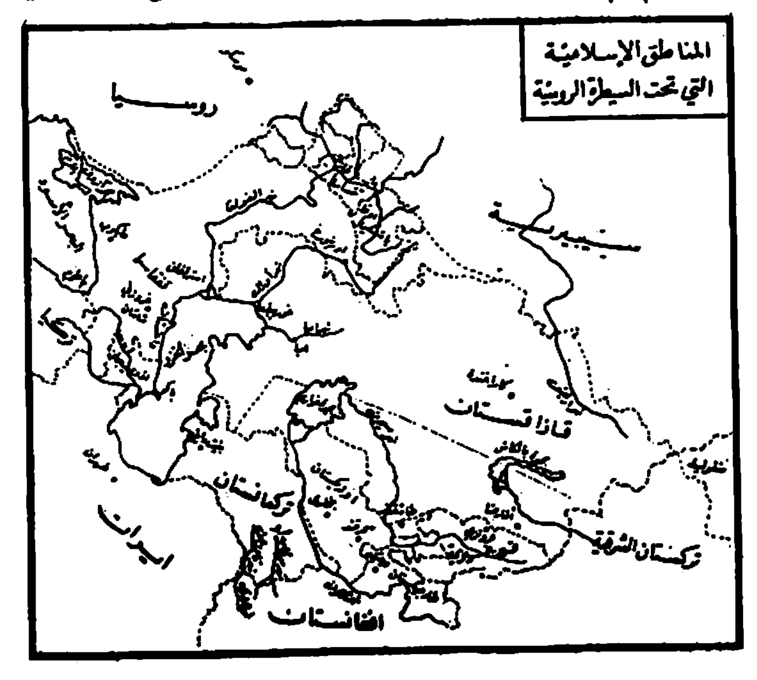
ومعظم القبائل تمت الى :

١ ــ القازاق .
٢ ــ الاوزبك .
٣ ــ التركمان .
٤ ــ القيرغيز .
٥ ــ الطادجيك .

وتعرف جمهوريات تركستان الحالية باسماء هذه القبائل .

تقدم المسلمون بفتوحاتهم ، ودخل الاحنف بن قيس مرو ، ووصل المسلمون الى نهر جيحون وتوالت الغزوات على تلك الأرض واخيراً استطاع قتيبة بن مسلم الباهلي ان يعبر النهر وأن يفتح (بخارى) وبقية المدن وعرفت تلك المنطقة باسم (بلاد ماوراء النهر) ، وبعد مدة انتشر الاسلام في تلك الارجاء ، بعد أن شق أهلها عصا الطاعة مرات ، وقد ظهر في هذه المنطقة اشهر علماء الحديث كالبخاري والنسائي والترمذي والبيهقي .

وفي العصر العباسي الثاني بدأ التفكك في الدولة وانقلب الى نزعات محلية وعصبيات موضعية وقامت دويلات عديدة وصارت المنطقة هدفا لغير ساكنيها ومطمعاً لغير أهلها ، فغزاها المغول من الشرق وقوضوا دويلاتها ، ثم لم تلبث امبراطورية المغول أن تجزأت الى عدة دول يحكم



كل واحدة منها خان مستقل اعتنق ديانة المنطقة التي يحكمها فدخل خانات غربي آسيا واواسطها في الاسلام ، ودان خان الصين بالبوذية .

وقام تيمور يتزعم التتار ووسع رقعة امارته وأصبحت عاصمته (سمر قند) تتبعها أقاليم شاسعة . وورث التتار امبراطورية المغول الواسعة واحتفظ تيمور بلقب امير ، وأقام خانا من أحفاد (جنكيزخان) في (سمر قند) رمزاً للتحالف القديم بين المغول والتتار وصورة أثرية ، وكان الامر كله مرهوناً بيد (تيمور) ثم فتح فارس والعراق والشام وآسيا الصغرى وروسيا .

وبعد موت (تيمور) عام ٨٠٨ هـ ١٤٠٥ م اختلف الامراء من بعده على العرش فتجزأت الدولة الواسعة واستحالت قوتها الى ضعف، وبدأت الولايات تنفصل عنها ومن هذه الولايات روسيا التي بدأت تقف على قدميها وبدأت تحارب التتار وتحتل بلادهم ، وتتابع توسعها في الشرق في بلاد ما وراء النهر التي كانت تعيش في فوضى سياسية .

سيطر الروس على المنطقة كاملة ، وابتدأوا بتطبيق سياسة مرسومة تهدف الى ابقاء المنطقة خاضعة لهم وابعاد المسلمين عن دينهم كي يتم لهم ذلك ، وقامت المذابح والارهاب وطرد السكان وترحيلهم عن مواطنهم .

وأبقى الروس المجموعات الاسلامية غير موحدة ، وكان المسلمون في تركستان يخضعون للحكام العامين ، أما القبائل فتخضع لعاداتها وتقاليدها ، وكان مركز تركستان هو مدينة (طاشقند) وفي المنطقة محميتان هما : امارة (بخارى) وخانية (خيوة) أو (خوارزم) . وظل الاستعمار الروسي عسكريا في جوهره لم يهتم الا ببناء الحصون والمنشآت العسكرية بينما أهمل السكان اهمالا لا يعدله اهمال آخر وسعى الى ترك السكان في حالة من الجهل والفقر والبؤس وأقام الى جانب

مناطقهم الخربة وقراهم المهملة مناطق سكنية راقية ومستعمرات حديثة لافراد جنسه الذين جلبهم من روسيا للادارة والعمل في الصناعة التي حرمها سكان المنطقة ، ولمراقبة المواطنين ، كما أغدق على هؤلاء المستعمرين الاموال الوفيرة ، وخصهم بأخصب الاراضي التي اغتصبها من السكان وفوق كل هذا حاربهم في عقائدهم اذ كان القانون القيصري يعدّ اعتناق أي دين يخالف الكنيسة الارثوذكسية أمراً محرماً وأجبر الناس على تعلم اللغة الروسية حيث فرضت عليهم بالقوة وأصبحت الأسماء روسية .

قامت الحرب العالمية الاولى وقبل انتهائها قامت الثورة الشيوعية في روسيا ، وحاربت الحكم القيصري ، ولكن الناقمين على الحكم الروسي استغلوا الظروف الراهنة وقاموا يريدون الاستقلال فقد كفاهم مالاقوا من العذاب ، ولكن الشيوعيين أعلنوا عن الحرية الدينية وهذا ما أعاد السكان الذين يعيشون في مائة قرية بجانب قازان الى الاسلام وكانت قد حملتهم الحكومة القيصرية على النصرانية قسراً منذ مائتي سنة وحوّلت مساجدهم الى كنائس ، وأرسلت اليهم القساوسة ، وكانوا لايزالون في الباطن مسلمين، ولم يقدروا أن يظهروا الاسلام إلا بعد سقوط الحكم القيصري ، فعادوا الى الإسلام ، وأعادوا مساجدهم الى أصلها ، ولكن عندما استتب الامر للشيوعية وسيطر الجيش الاحمر عادت الى سياسة القياصرة بل فاقتهم في أعمال السلب والنهب ومصادرة المحاصيل الزراعية والماشية والثروات تطبيقاً للنظام الجديد ، وحدث ما حدث من جرائم ومذابح جماعية وعمليات طرد وتهجير واغتصاب الارض تحت اسم المصلحة العامة وضرورة تطبيق النظام ، ثم قضت على خان (خيوه) وأمير (بخارى) .

أبدى الروس بعض التسامح اثناء الحرب العالمية الثانية لكن ما ان

انتهت ايام الحرب حتى بدأ الانتقام من المسلمين ، وبـدأت المجـازر ، وأبيدت بعض القرى في القفقاس ، وقلبت الحقائق ، وظهرت الـدعايات المعادية للدين وللتاريخ ولرجال البلاد المخلصين .

تضم الامبراطورية الروسيةاليوم ١٤ جمهورية اشتراكية سوفييتيه، وتشكل فيما بينها اتحاداً ، وتتبعها جمهوريات أصغر منها وأقل منهـــا استقلالا وهي جمهوريات اشتراكية سوفييتية ذات حكم ذاتي كمـا أن هناك مقاطعات ذات حكم ذاتي أصغر من الاقسام السابقة ، هذا التقسيم الغريب يخدم مصلحة الروس ، ويوزع أبناء المنطقـة ، ويقسم الشعب الواحد ، ويشتت أفراد القبيلة الواحدة .

وتضمّ تركستان الغربية خمس جمهوريات كلها جمهوريات اتحاديه (اشتراكية سوفييتية) هي :

١ ــ قازاقستان :

باسم قبائل القازاق وهي أكبر جمهورية في الامبراطورية الروسية بعد جمهورية موسكو ، تبلغ مساحتها ١٫٠٦٤٫٠٩٢ ميل مربع ، ويبلغ عدد سكانها ١٢ مليون نسمة ، وتعدّ منطقة غنية في ثروتهـا الزراعيـة والحيوانية والمعدنية فتزرع فيها الفاكهة وخاصة التفاح والحبوب والقطن وفيها ١٥ في المائة من الثروة الحيوانية في الامبراطورية و ٢٠ في المائة من اغنامها ، وتفوق ثروتها المعدنية كل ثروة ففيها :

٥٧٫٤ في المائة من النحاس في امبراطورية روسيا .
٥٦٫٣ في المائة من الرصاص في امبراطورية روسيا .
٤٩٫٨ في المائة من التوتياء في امبراطورية روسيا .

كما تعدّ المنطقة الاولى في العالم بانتاج الكروم اضافة الى ثروات كبيرة من الفحم الحجري والنفط والفضة .

قامت في المنطقة ثورة قادها الحزب القومي القازاقي ، وعـرفت الحركة باسم (الأش اوردا) ، وكادت تنجح ، وأظهر الروس تأييدهـم للحركة في بداية الأمر ، ثم أعلنوا الحرب عليها ، وانتقموا بعد انتصارهم من السكان ، ويقوم الروس بكل جهودهم لترويس المنطقة ، وقد فصلت منطقة (اورنبرغ) عنها لفصل مسلمي الاورال عن مسلمي تركستان .

عاصمة البلاد هي مدينة (ألما اضا) ومعناها مدينة التفاح وتقع في الجنوب الشرقي من الجمهورية .

٢ ـ اوزبكستان :

باسم قبائل الاوزبك وهم أكبر مجموعة في الامبراطورية الروسية بعد (الصقالبة) تضم هذه الجمهورية جمهورية (كارا كالباكيا) وجزءاً من إمارة (بخارى) وقسماً من خانية (خوارزم) تبلغ مساحتها ١٥٧,٠٠٠ ميلا مربعا ، ويبلغ عدد سكانها ثمانية ملايين .

تشتهر بالزراعةوتربية الماشيةومن أشهر مزروعاتها الفاكهةوالحبوب والقطن وقد وصل إلى المنطقة اثناء الحرب العالمية الثانية أكثر من مليوني روسي ، وقد أصبح الروس يشكلون ١٧ في المـائة من السكان بينمـا الاوزبك يؤلفون ٥٩ في المائة.

قام الاوزبك بحركة الجهاد عام ١٣٢٢ هـ ـ ١٩٠٤ م ضد الروس، وحاولوا استعادة مجدهم اثناء سقوط الحكم القيصري وقيـام الثورة الشيوعية ، وأسسوا حكومة تركستان المستقلة في مدينة (خوقند) ،ولم يلبث الشيوعيون أن داهموهـا وقضوا عليها ، وبعـدها قامت حركـة (البصمه جي) ، وقد لقيت المصير الذي لقيته الثورات السابقة لها .

وتقع أشهر المدن التركستانية في هـذه الجمهوريـة (طاشقند) عاصمة الجمهوريـة يضاف اليها مـدن (بخارى) و (سمرقنـد) و (خوقنـد) .

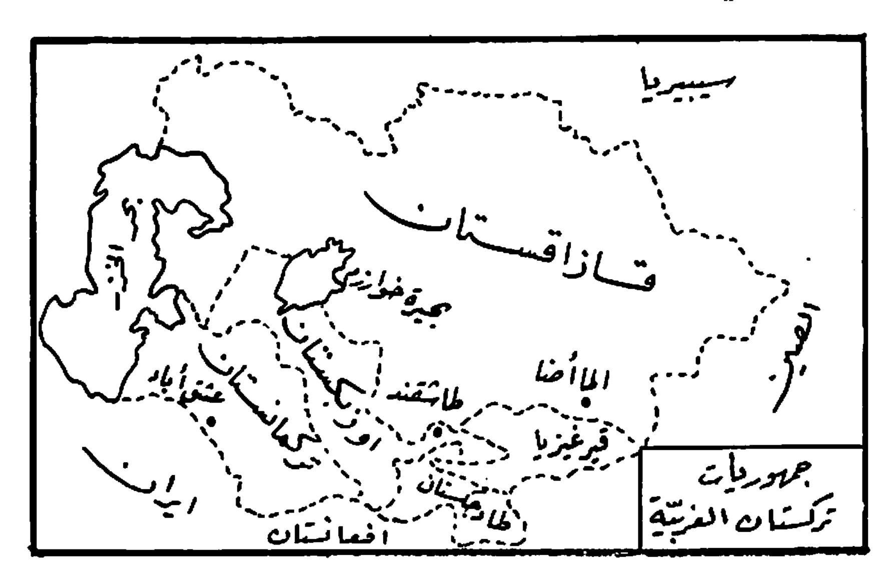
٣ ــ تركمانستان :

نسبة إلى قبائل التركمان ، وتبلغ مساحتها ٢٥٠ر١٧١ ميلا مربعــا ولايزيد سكانها على مليون وربع نسمة • وهي منطقة صحراويــة قامت فيها مشروعات إروائية ضخمة ، انتقل اليها عدد كبير من الــروس حتى زادوا على ثلث السكان •

أشهر المدن فيها (عشق آباد) العاصمة ، و (مرو) المدينة التاريخية المعروفة في التاريخ العربي •

٤ ــ قيرغيزيا :

نسبة إلى قبائل القيرغيز ، ويبلغ عدد سكان هذه الجمهورية مــا يقارب ثلاثة ملايين نسمة ، وتقدر مساحتها بـ ٩٥٠ر٧٥ ميلا مربعا•ومعظم المنطقة جبلي • وقد نقص عدد السكان بسبب الهرب من البلاد ، وحرب



الابادة ، والموت جوعا ، والاضطهاد ، وقامت ثورة في البلاد عام ١٣٣٥ هـ ـ ١٩١٦ م قتل على أثرها ١٥٠ الفا من القيرغيز ، وقد أبيد جميع سكان القسم الشمالي ،ويشجع الروس العداء بين القيرغيز وسكان الصين •

تجود في البلاد زراعة الشوندر السكري والقطن والحبوب اضافة إلى الفاكهة التي تكثر في الأودية وخاصة وادي فرغانة المشهور ، وكذلك تشتهر بتربية الماشية واكتشفت مكامن الذهب والقصدير والزئبق والانتيموان ثم هناك الرصاص والتوتياء والفحم والنفط •

وأشهر مدن القيرغيز (فرونزى) وهي العاصمة •

٥ ـ طادجسكتان :

أصغر جمهورية في آسيا الوسطى ، وتبلغ مساحتها ٥٥٫٥٤٥ ميلاً مربعاً ويزيد عدد سكانها على ١٫٥ مليوناً • والسكان من أصل إيراني بينما بقية سكان تركستان من أصل تركي •

الفصل الثاني

المسلمون في روسيا

مقدمة عن البلاد الروسية :

في القرون الأولى للميلاد وجد السلاف على شكل قبائل تنتقل في المنطقة الواقعة بين نهري (الفيستولا) و (الدنيبير) شمال شرقي جبال (الكربات) ثم جاءها الغزاة،فتوزعت هذه القبائل على شكل مجموعات ، اتجهت إحداها نحو الغرب ، ودخلت الأراضي الالمانية ، حتى وصلت إلى نهر الإلب ، ولا يزال منها إلى اليوم جماعات (الفند) التي تقيم بالقرب من مدينة برلين •

واتجهت الثانية منها نحو الجنوب الغربي حتى وصلت إلى (بوهيميا) و (سلوفاكيا) كما انتشرت في البلقان وكان منهم(الكروات) و (الصرب) و (المقدونيون) و (السلوفين) •

وانتشرت الثالثة منها نحو الشرق حتى وصلت إلى نهر (الدون) كما توسعت نحو الشمال حتى وصلت إلى مشارف (موسكو) ، هذه المجموعة الثالثة هي التي شكلت الروس وهم ثلاثة أقسام : الروس الكبار وينتشرون حول (موسكو) وهي مركزهم و (الاوكرانز) وينتشرون في الجنوب الغربي حول مدينة (كييف) التي هي عاصمتهم والروس البيض وهم في الغرب وحاضرتهم مدينة (منسك) هذه المناطق هي البلاد الروسية فقط حيث عمرها السلاف ، واستقروا فيها ، ولا تزيد

مساحتها على مليون ونصف المليون من الكيلو مترات المربعة ، أما المناطق الشرقية والشمالية والجنوبية مما يسمى روسيا اليوم فقد كانت قبائل قليلة العدد تنتقل في أرجائها وتدين بالوثنية ، ثم جاء التتار ، واستولوا عليها ، كما خضع الروس لهم ، وكان السلاف يومذاك كثيري النسل ، فزاد عددهم ، وضاقت بهم الأرض ، فعندما ضعف أمر التتار قام الروس يتوسعون ، واحتلوا أرض التتار ، وأطلق على جميع الأراضي التي في شرقي بلادهم حتى جبال أورال اسم روسيا ، وهو ما تتحدث عنه في هذا البحث رغم تأكيدنا أن أرض روسيا هي تلك التي ذكرناها سابقاً.

انتشار الاسلام :

إن أول جماعة اعتنقت الاسلام في الارض التي تسمى اليوم روسيا هم (البلغار) أولئك الذين عاشوا في نهاية القرن الثالث الهجري وأوائل القرن الرابع على ضفاف نهر الفولغا ، وقد وصل اليهم الدين عن طريق التجار المسلمين الذين كانوا يتاجرون بالفراء وكافة السلع التي يحصلون عليها من البلاد الشمالية ، وقد أرسل اليهم الخليفة العباسي المقتدر قائده أحمد بن عباس الذي استطاع أن ينتصر على الدولة الطولونية ، وان يعيد مصر إلى حظيرة الدولة العباسية ، ويعرف بابن فضلان ، ويعد من أوائل الرحالة الجغرافيين المسلمين ، وقد وصف تلك الرحلة بعد عودته وصفا دقيقاً تعدّ من المصادر الأولى في تاريخ وجغرافية روسيا ، وكانت الغاية من تلك الرحلة تثبيت (البلغار) على الدين ، وتعليمهم مبادىء الاسلام وشعائره .

هؤلاء البلغار وان كانوا قد اعتنقوا الاسلام إلا أنهم لم يقيموا مجتمعهم على أساسه فبقوا متأخرين ، ولم يستطيعوا جذب القبائل الوثنية التي كانت تعيش في روسيا إلى دينهم إذ كانت الوثنية لا تزال

هي السائدة في تلك الأرض ، فلو طبقوا الاسلام على مجتمعهم لارتفع مستواهم وتغيرت أوضاع بلادهم ولجاءتهم القبائل تسعى إلى إعتناق دينهم ، وقد قام البلغار بجهود في سبيل ذلك ، فقد حاولوا تحويل (فلاديمير) ملك روسيا آنذاك إلى الدين الحنيف ، ويقال إن الذي منع الروس من الاسلام أمران هما تحريم الخمر والختان .

كانت الوثنية في روسيا آنذاك مجالاً للصراع في كسبها إلى الديانات ، وكما فشل البلغار في كسب الروس إلى الاسلام فشل اليهود ايضاً في ادخالهم في دينهم ، كما أن النصرانية قد أدلت بدلوها مع (فلاديمير) ، وأمام هذا الصراع جمع (فلاديمير) وجهاء قومه . واستنصحهم في هذه التيارات الدينية ، فأجابوه (أيها الأمير ان كل امرىء يمتدح ديانته فاذا أردت أن تختار أحسنها فابعث برجال عقلاء إلى البلاد المختلفة ليكشفوا لك أيه أمة من الأمم تعظم الله بالطريقة المثلى التي تليق بمقامه الاسمى) وأمام هذا الجواب اختار لهذا الغرض عشرة رجال اشتهروا بالرأي والحكمة فوجدوا أن بلاد (البلغار) لا تزال فيها أماكن حقيرة المظهر إذ لايزال الاسلام حديثاً فيهم ، ولم يطبق كاملاً فالاسلام ليس مجرد عبادة وشعائر تؤدى وإنما نظام يشمل جوانب الحياة كلها ، يبدأ بالنظافة ويصل الى الحكم ، ولكن رجال (فلاديمير) سروا بالقسطنطينية ، وما بها من فخامة البناء وعظمة الاشادة في كنيسة (ايا صوفيا) وملابس رجال الدين الجميلة وروائح البخور المنبعثة في داخلها ــ زهم لم يعرفوا هذا ولم يرتقوا بعد في سلم الحضارة فنقلوا ذلك الى (فلاديمير) ، فتحول إلى النصرانية وجهر بها عام ٣٧٨ هـ ــ ٩٨٨ م ديانة له وتبعه قومه ، وهكذا أصبحت النصرانية عقيدة الروس ، وبدأت تترسخ في النفوس ، بينما بقيت القبائل غير الصقلبية وثنية تنتقل في شرقي روسيا ، وتخضع للقبائل التي أصبحت نصرانية .

ثم قام التتار وهم مجموعة من القبائل موطنها الأصلي صحراء (غوبي) في (منغولية) ، هذه القبائل التي عرفت منذ القرن الرابع الهجري باسم المغول حيث انضوت تحت لواء زعيم إحدى قبائلهم وكان يحمل ذلك الاسم ، ثم أخذ لنفسه السيادة على بقية العشائر المتحالفة ومن ثم أطلق اسم بعضهم على الكل .

بعد أن تجمعت هذه القبائل تحت عامة (جنكيز خان) ، انتقل بها يدك ما عمّر من الأرض فاجتاح الصين ، ثم اتجه غرباً فدخل أرض المسلمين وغزا (خوارزم) ، وقتل من جيشها ١٦٠٠ ألف جندي ، ثم دخل (بخارى) وأحرقها ، وسلب ونهب وسبى ماشاء له طغيانه ، ثم استمر في تقدمه نحو الغرب ، فقاومته (نيسابور) فكان جزاء أهلها الذبح والقتل، وبقي في تقدمه حتى وصل إلى غايته المحتومة فخلفه ابنه (اوجتاي) فسار على خطة أبيه فغزا ما بقي من الصين ثم اتجه غرباً فاكتسح روسيا وجعلها ولاية مغولية عام ٦٣٣ هـ ـ ١٢٣٥ م ، وكذا استولى على (المجر) و (بولندة) ، ولكن المغول انسحبوا من بعض مناطق أوروبا عندما حدث بينهم نزاع على العرش بعد (كيوك بن اوجتاي) .

استولى (مانجو) أخيراً على ناصية الأمر عام ٦٤٦ هـ ١٢٤٨ م فعين أخاه وولي عهده (قبلاي) على الصين وسير أخاه الثاني (هولاكو) للاستمرار في الهجوم على غربي آسيا فدخل بغداد ودمرها،وسقطت بيده دمشق فأذاق أهلها الويلات ، ثم توقف المد المغولي بعد هزيمتهم في (عين جالوت) عام ٦٥٨ هـ ـ ١٢٦٠ م على يد المماليك .

وعندما هدأت ثورة المغول في التخريب والتدمير أعطوا الشعوب التي أخضعوها بالسيف وأذلوها حتى خنعت أعطوها الحرية الدينية ، وفي عهد (قبلاي) خليفة (مانجو) والذي تسلم أمر المغول ٦٥٥ هـ ـ ١٢٥٧ م بدأ التتار يخضعون للمؤثرات البوذية في الصين ، ولكن

المسلمين هم الذين دارت عليهم الدائرة الكبيرة ، وظن بعضهم أن الاسلام قد انتهى حتى أن ابن الاثير الذي عاصر هذه الاحداث قد توقف عن ذكرها في بداية الأمر فيقول (ومن الذي يسهل عليه أن يكتب نعي الاسلام والمسلمين ؟ ومن الذي يسهل عليه ذكر ذلك ؟ فيا ليت أمي لم تلدني ويا ليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً) إلى أن حثني جماعة من الاصدقاء على تسطيرها وأنا متوقف ثم رأيت أن ترك ذلك لا يجدي نفعاً ، فنقول هذا الفصل يتضمن ذكر الحادثة العظمى والمصيبة الكبرى التي عقمت الأيام والليالي عن مثلها ، وعمت الخلائق وخصت المسلمين فلو قال قائل منذ خلق الله سبحانه وتعالى آدم وإلى الآن لم يبتلوا بمثلها لكان صادقاً فان التواريخ لم تتضمن ما يقابلها ولا ما يدانيها ومن أعظم ما يذكرون من الحوادث ما فعله (بختنصر) ببني اسرائيل من القتل والتخريب لبيت المقدس ؟ وما البيت المقدس بالنسبة إلى تخريب هؤلاء الملاعين في البلاد التي في كل مدينة منها أضعاف البيت المقدس وما بنو اسرائيل بالنسبة إلى من قتلوا ؟ فان أهل مدينة واحدة ممن قتلوا أكثر من بني اسرائيل ، ولعل الخلق لا يرون مثل هذه الحادثة [1] .

والواقع فإن ما أصاب المسلمين لم يكن بسبب وحشية التتار فقط فما أصابهم أصاب غيرهم ، وإنما بسبب ما شحنوا من عداء من النصارى الذين كانوا يرغبون في جرّهم إلى ديانتهم، كما أنهم حرضوهم على قتل المسلمين انتقاماً من الحروب الصليبية التي لم يمض كبير وقت على انتهائها ، وقد خرج النصارى منها مدحورين ، فالحقد باق والنفوس لئيمة ، كما خاف النصارى من إسلام المغول إذا ما اتصلوا بالمسلمين ، فإذا حدث القتال بين المسلمين والمغول فإن هذا سيبقي هوة سحيقة بين

---

١ ـ ابن الاثير ج ١٢ ص ٢٤٣ ـ ٢٤٤ .

الطرفين ، فالقتل يزيل الرجال ويبقي العداء ، فقد اتصل النصارى بالمغول بل عاشوا معهم في بيوتهم فـ (جنكيز خان) تزوج من فتاةٍ من إحدى الاسر النصرانية التتارية ، وكذا تزوج ابنه وخليفته (اوجتاي) من فتاة نصرانية أيضاً ، وكان (كيوك بن اوجتاي) والذي تولى أمر المغول هو الذي دفع (مانجو) وحرضه على إرسال أخيه (هولاكو) ليغزو غربي آسيا ، وتزوج (هولاكو) من فتاة نصرانية حاقدة كانت السبب في التخريب الذي عم العراق والشام ، واعتنق كثير من المغول في أرمينيا وبلاد الكرج النصرانية ، وتزوج (اباقا خان) ابن (هولاكو) وولي عهده على الاسرة الديلخانية ابنة امبراطور القسطنطينية ، ونشأ (تكودار) ابن (هولاكو) الثاني على النصرانية قبل أن يعتنق الاسلام ، واضطهد (ارغون) بن (اباقا خان) المسلمين شر اضطهاد وحرمهم من المناصب التي كانوا يشغلونها وقتل عمه (تكودار) الذي أسلم وتسمىّ باسم أحمد ، وتسلّم مكانه وكان (جغطاي) بن (جنكيز خان) من ألد أعداء الاسلام فلم يكن يستطيع أن يسمع في مجلسه اسم مسلم إلاّ في موضع ذم .

ولكن قدرة الله فوق كل شيء وتدبيره فوق كل تدبير ، فمن الذي كان يدري هؤلاء الذين عادوا الاسلام سينقلبون إلى دعاة له ولما يمض على ظلمهم بضع عشرة سنة ؟ ومن الذي كان يعلم أن هؤلاء الذين خربوا ديار الاسلام سينتشر الاسلام على أيديهم وعلى أيدي خلفائهم حتى في هذا الزمن الذي يعد عصر انحسار بالنسبة إلى الاسلام حيث تتكالب الدنيا عليه ويجتمع العالم على حربه إن الله هو الذي أنزل الذكر وهو الذي تكفل بحفظه (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) (والله متمّ نوره ولو كره الكافرون) .

منذ أن شعر (جنكيز خان) بقرب أجله قسم امبراطوريته الواسعة

بين أبنائه الأربعة فولى ابنه الكبير (جوجي) القسم الغربي من الامبراطورية وتشمل (روسيا) و (بولندة) وكل ماأخذ حتى نهاية المعمورة • وأعطى ابنه الثاني (جغطاي) القسم الأوسط ويشمل (تركستان) وما حولها من آسيا الوسطى وأعطى ابنه الثالث (اوجتاي) الصين كما كان ولي عهده أي خانا أكبر للمغول كافة ، واعطى ابنه الرابع (تولوي) فارس وما يتبعها من المناطق ، وعلى الرغم من بقاء هؤلاء الاخوة مرتبطين بخان المغول الكبير إلا أن كل واحد منهم قد أسس أسرة خاصة بقيت تحكم المنطقة التي تسلمها •

أسس (اباتو بن جوجي) الاسرة الذهبية ولم يلبث خانها (بركة خان) الذي سلّم أمرها عام ٦٥٤ ــ ٦٥٥ ــ هـ ــ ١٢٥٦ ــ ١٢٦٧ م ان اعتنق الاسلام منذ صغره ، وحفظ القرآن على يد أحد علماء مدينة (خوقند) ، وكان كل جنده من المسلمين ، كان هذا الأمر ولما تسقط بغداد بيد (هولاكو) ، وفوق كل هذا تحالف هذا الخان مع (الظاهر بيبرس) سلطان المماليك في حربه مع طاغية المغول (هولاكو) ، وكانت حاضرة الاسرة الذهبية مدينة (السّرا) على ضفاف نهر (الفولغا)[1] وكان شديد الحماسة لنشر الاسلام بين الروس ، لكنه كان متسامحاً جداً مع النصارى ، وكان من هذه الأسرة السلطان (محمد اوزبك) الذي آل اليه أمرها عام ٧١٣ ــ ٧٤١ هـ ١٣١٣ ــ ١٣٤٠ م وفي أيامه كانت عدة دول اسلامية في أرض روسيا اليوم تركية اللغة حنفية المذهب ومن أشهرها (القرم) و (بلغار) وغيرها وكلها تتبع السلطان (محمد اوزبك) في (السّرا) ، وفي أيامه زار المنطقة الرحالة الاسلامي ابن بطوطة ، وذكر السلطان محمد أوزبك فقال عنه (واسمه

---

١ ــ السرا : تقع على الضفة الاخرى لنهر الفولغا شرق مدينة ستالينغراد التي تقع على ضفة النهر اليمنى .

محمد أوزبك ، ومعنى خان عندهم السلطان ، وهذا السلطان عظيم المملكة شديد القوة كبير الشأن رفيع المكان ، قاهر لاعداء الله أهل قسطنطينية العظمى ، مجتهد في جهادهم وبلاده متسعة ومدنه عظيمة منها الكفا[1] والقرم[2] والماجر[3] وأزاق[4] وسرادق (سوداق)[5] وخوارزم[6] وحاضرته (السّرا)وهو أحد الملوك السبعة الذين هم كبراء الدنيا وعظماؤها ، وهم : مولانا أمير المؤمنين ظل الله في أرضه ، امام الطائفة المنصورة الذين لا يزالون ظاهرين على الحق إلى قيام الساعة أيد الله أمره ، وأعز نصره وسلطان مصر والشام وسلطان العراق والسلطان أوزبك هذا وسلطان بلاد تركستان وما وراء النهر وسلطان الهند وسلطان الصين .

كما وصف ابن بطوطة المدن الكبيرة التي تقع في حوزة هذا السلطان فقال عن مدينة (الكفا) وهي مدينة عظيمة مستطيلة على ضفة البحر يسكنها النصارى وأكثرهم الجنويّون ، ولهم أمير يعرف بالدمدير، ونزلنا منها بمسجد المسلمين ويقول (وطفنا بالمدينة فرأيناها حسنة

---

١ ـ الكفا : مدينة في شبه جزيرة القرم ، على البحر الاسود في اضيق برزة بينه وبين بحر ازوف وعند اتصال القرم بشبه جزيرة (كرش) ، ولم يعد لها اليوم ذكر .

٢ ـ القرم : في شبه جزيرة القرم وحاضرتها وتقع غرب مدينة (الكفا) .

٣ ـ الماجر : وهي مدينة شرق (ازاق) تقع على نهر (الدون) ولم يبق لها اسم اليوم .

٤ ـ ازاق : وهي في نهاية بحر آزوف وتسمى اليوم آزوف كما كان هذا البحر يحمل اسمها فيسمى بحر ازاق .

٥ ـ سرادق : مدينة في شبه جزيرة القرم ، تقع جنوب مدينة القرم.

٦ ـ خوارزم : منطقة في بلاد جمهورية اوزبكستان اليوم ، قريبة من بحيرة خوارزم التي تعرف الآن باسم بحر آرال .

الاسواق وكلهم كفار ونزلنا إلى مرساها فرأينا مرسى عجيباً به نحو مائتي مركب حربي وسفري صغير وكبير وهو من مراسي الدنيا المشهورة .

ويصف مدينة القرم فيقول (ثم اكترينا عجلة وسافرنا إلى مدينة القرم ، وهي مدينة كبيرة حسنة من بلاد السلطان المعظم محمد أوزبك خان وعليها أمير من قبله اسمه تلكتمور) .

وكتب عن مدينة الماجر يقول (وهي مدينة كبيرة من أحسن مدن الترك على نهر كبير وبها البساتين والفواكه الكثيرة) .

ويقول عن أزاق (وهي على ساحل البحر حسنة العمارة يقصدها الجنويّون وغيرهم بالتجارات أما مدينة خوارزم فيقول عنها (وهي أكبر مدن الاتراك وأعظمها وأجملها وأضخمها لها الاسواق المليحة والشوارع الفسيحة والعمارة الكثيرة والمحاسن الأثيرة وهي ترتج بسكانها لكثرتهم وتموج بهم موج البحر) .

ويصف حاضرة السلطان مدينة (السَّرا) فيقول (وهي حاضرة السلطان أوزبك) ودخلنا علي السلطان فسألنا عن كيفية سفرنا وعن ملك الروم ومدنيته فأعلمناه . وأمر باجراء النفقة علينا وانزلنا .

ومدينة (السَّرا) من أحسن المدن متناهية الكبر في بسيط من الأرض تغصّ بأهلها كثرة ، حسنة الاسواق متسعة الشوارع ، وركبنا يوماً مع بعض كبرائها ، وغرضنا التطواف حولها ، ومعرفة مقدارها وكان منزلنا بطرف منها ، فركبنا منه غدوة فما وصلنا لآخرها إلا بعد الزوال فصلينا الظهر وأكلنا طعاماً فما وصلنا إلى المنزل إلا عند المغرب ، ومشينا يوماً في عرضها ذاهبين وراجعين في نصف يوم ، وذلك في عمارة متصلة الدور لا خراب فيها ولا بساتين فيها ثلاثة عشر مسجداً لاقامة الجمعة ، أحدها للشافعية ، وأما المساجد سوى ذلك فكثير جداً وفيها طوائف من

الناس، وكل طائفة تسكن محلةعلى حدة، فيها أسواقها والتجار والغرباء من أهل العراقين ومصر والشام وغيرها ، ساكنون بمحلة عليهـا سور ، احتياطاً على أموال التجار .

كذلك يذكر مدينة الحاج تَرْخان[1] فيقول (فوصلنا إلى مدينـة الحاج ترخان ومعنى ترخان عندهم الموضع المحرر من المغارم ،والمنسوب إليه هذه المدينة هو حاج من الصالحين ، تركي نزل بموضعها وحرر لـه السلطان ذلك الموضع فصار قرية ، ثم عظمت وتمدنت وهي من أحسن المدن عظيمة الاسواق مبنية على نهر إتل[2] ، وهو من أنهار الدنيا الكبار وهناك يقيم السلطان حيث يشتد البرد ، ويجمد هـذا النهر ، وتجمـد المياه المتصلة به ..)

كما أنه يذكر مدينة بلغار[3] ، فيقول (وكنت سمعت بمدينة بلغار فأردت التوجه إليها لأرى ما ذكر عنها من انتهاء قصر الليل بها ، وقصر النهار أيضاً في عكس ذلك الفصل وكان بينها وبين محلة السلطان مسيرة عشر ، فطلبت منه يوصلني إليها ، فبعث معي من أوصلني إليهـا وردني إليه وصلتها في رمضان فلما صلينا المغرب أفطرنا وأذن بالعشاء في أثنـاء افطارنا فصلينا وصلينا التراويح والشفع والوتر ،وطلع الفجر إثر ذلك . وكذلك يقصر النهار في فصل قصره أيضاً وأقمت بها ثلاثاً) .

ومن هذا نستدل أن التتار قد انتشروا في شرقي روسيا على ضفاف

---

١ ـ الحاج ترخان : يطلق عليها اليوم استراخان على سياسة تغيير الاسماء والاماكن والتاريخ وحتى الحقائق .

٢ ـ نهر إتل : هو نهر الفولغا .

٣ ـ بلغار : مدينة موقعها جنوب مدينة قازان اليوم على نهر الفولغا وقد تكون قازان امتدادا لها من ناحية الشمال ، وتقع على خط العرض ٥٥ شمالا .

نهر (الفولغا) وعلى مقربة من مدينة موسكو ، كما انتشروا في جنوبها وخاصة في شبه جزيرة (القرم) ، وقد أسسوا عدة دول فيها ، وفي هـذه الامارات يكثر المسلمون ، كما يوجـد بينها نصارى يعيشون بحريـة وطمأنينة ، وكان الروس في هذا المجتمع يدينون بدينهـم ، ويقيمون في مدنهم لا يعكر صفوهم معكر ، أما إماراتهم فكانت تدفع الجزية للمغول، وأهمها (موسكو) و (كييف) ، ويصف ابن بطوطة الروس فيقول عنهم (إنهم شقر الشعور زرق العيون قباح الصور أهل غدر) .

وأسس (هولاكو) الدولـة (الايلخانيـة) في فارس وضم اليها العراقين وشرقي بلاد الشام وآسيا الصغرى ، وتولى بعـده ابنه (اباقا خان) ، وكان مثله عدواً لدوداً لدولة الاسلام ثم جاء ابن هولاكو الثاني (تكودار) الذي نشأ على النصرانية ، وشب عليها ، ثم اعتنق الاسلام ، وراسل السلطان المملوكي (قلاوون) سلطان مصر ، وتوقفت الحرب بين الطرفين وعلى الرغم من أنه قتل من قبل ابن أخيه (أرغون بن أباقا خان) إلا أن ابن (أرغون) هذا وهو (غازان) قد اعتنق الاسلام بعد أن كان بوذياً وكذا أخوه (اولجاتيو) الـذي شب على النصرانيـة ، ثم اعتنق الاسلام وتسمى باسم(محمد)وأصبح بعدئذ الاسلام هو الدين السائدفي دولة ايلخانات الفرس .

أما الاسرة (الجغطائية) فقد تأخر انتشار الاسلام فيها حتى عـام ٧٤٠ هـ ـــ ١٣٣٩ م أيام السلطان (علاء الدين طرتشيرين) .

وهكذا دان التتار بالإسلام في المناطق الاسلامية ، بينمـا خضعوا للبوذية في الصين والشرق . ثم جاء (تيمور لنك) وحكم التتار ، وحل محل المغول ، وبسط نفوذه على كل مناطـق التتار ، ولم يتغير شيء في البلاد من دمار وخوف ، ولكن الذي تغير هـو الحاكم فقط وكانت في روسيا ثلاث ديانات :

١ ـ الاسلام ويدين به التتار ، وهم الذين يحكمون البلاد ويحاولون نشره بين السكان .

٢ ـ النصرانية ،ويعتنقها الصقالبة الروس ولهم امارتان في (موسكو) و (كييف) ويدفعون الجزية للتتار .

٣ ـ الوثنية : ولاتزال بعض القبائل من الروس والتتار تخضع لها اضافة إلى بعض قبائل الشمال .

وهكذا كانت الديانات تأخذ المعنى القومي ، وتظهر بالمظهر القبائلي،فالروس نصارى، والتتار مسلمون،وكان العداء قائماً بين الحاكم والمحكوم بسبب الخلاف العقائدي إضافة إلى الخلاف القومي واللغوي، وإن لم يكن لهذين الامرين الاخيرين كبير أهمية أو عظيم أثر ، وانما الذي له كل القيمة والأثر الخلاف العقيدي .

وما إن انتهى أمر تيمور لنك عام ٨٠٨ هـ ـ ١٤٠٥ م حتى اختلف الامراء من بعده على العرش ، فتجزأت الدولة الواسعة واستحالت قوتها إلى ضعف ، وبدأت الولايات تنفصل عنها ، والمناطق الخاضعة لها تتمرد عليها بالانفصال تارة وبالاستقلال أخرى ، ومنها روسيا التي وقفت على أقدامها ، ورفضت دفع الجزية ، وبدأت تقاتل التتار عام ٨٨٥ هـ ـ ١٤٨٠ م بقيادة امير (موسكو) الذي بدأ يسعى لتأسيس دولة قوية له ومنذ ذلك الزمن بدأت هذه الدولة الجديدة تظهر للعالم ، وتتضخم تدريجياً .

استطاعت الامبراطورية البيزنطية التي كان مركزها القسطنطينية ، والتي لم تكن قد فتحت بعد للعثمانيين ، وان كانت محاطة من كل الجهات بهم ، ومهددة بالسقوط في كل لحظة ، استطاعت هذه الدولة العجوز ان تثير الصقالبة الروس ، وأن تنمي فيهم الروح الصليبية الحاقدة،وتدعوهم

للانتقام من التتار المسلمين اخوان العثمانيين الذين يهددون عاصمة الدولة البيزنطية ومركز الارثوذكس القسطنطينية •

ولم يمض زمن طويل حتى فتحت القسطنطينية ابوابها للعثمانيين ، وقام الصقالبة في ناحية ثانية برد فعل ضد المسلمين التتار،وقامت الحروب الصليبية ، وتجلت بشكل واضح في عهد (ايفان الثالث) الذي استمر حكمه ٨٦٧ ــ ٩١١ هـ ــ ١٤٦٢ ــ ١٥٠٥ م والذي تمرّد على التتار ، ثم في عهد (ايفان الرابع) الذي سمي بالرهيب بسبب ما ألحق بالمسلمين من قتل وذبح وأذى ، حيث غزا المناطق الاسلامية ، وضمّها إلى دولته الناشئة فقد دخل (قازان) عام ٩٦٠ هـ ١٥٥٢م ، وضم إمارتها إلى دولته ، وفي العام نفسه ألحق أرض (الشوفاش) بموسكو ، وكذا بلاد (ماري) و (موردوف) ثم دخل مدينة (اوفا) عاصمة (الباشكير) عام ٩٦٣ هـ ١٥٥٥ م • ومدينة (الحاج ترخان) وأخيراً ضم بلادهم اليه بعد عامين ، ثم استولى على بلاد (الادمورت) عام ٩٦٨ هـ ١٥٦٠ م وهكذا ضم الارض الاسلامية التي تقع بين موسكو وبين جبال (الاورال)من جهة الشرق وبحر الخزر من جهة الجنوب وتقرب مساحتها مساحة بلاد العراق أي ٤٤٥ الف كم٢ ، ولم يبق أمامهم سوى بعض الاجزاء الجنوبية وشبه جزيرة القرم التي استطاعت روسيا احتلالها عام ١١٩١ هـ ــ ١٧٧٧ م •

ان المسلمين العثمانيين عندما انتصروا على الدولة النصرانية البيزنطية قام الصقالبة النصارى ينتقمون من التتار المسلمين بل عدّت دولة روسيا الجديدة نفسها وريثة لتلك الدولة التي زالت كما نصبت نفسها حامية للأرثوذكس النصارى ، وقامت الحرب الصليبية واضحة ، وبدأت هذه الدولة الجديدة تحارب الإسلام وعدّت المسلمين جميعهم في أية بقعة من الأرض مسؤولين عن تقويض الدولة البيزنطية، وفتح عاصمتها القسطنطينية،

وكان الروس يطـــردون المسلمين مـــن مناطقهم لاحلال الروس محلهم ، ولكن هؤلاء المسلمين النازحين كانوا ينشرون الإسلام على طول الطريق التي يسلكونها باتصالهم بالسكان الذين يلتقون بهم على هذه الطريق ، وهذا ما زاد حقد الروس ، فهم يريدون ادخالهم في النصرانية على المذهب الارثوذكسي فاذا بهم يعتنقون الإسلام ، الأمر الذي جعلهـم يغيّرون سلوكهم ، ويفضلون إبقاء التتار في أماكنهم،ويعزلونهم عن بقية السكان ، ولكن كان لهذه الطريقة أثرأيضا على انتشار الإسلام (يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون) .

يعتقد الروس أن لاسبيل إلى ترك السكان المسلمـــين في روسيـــا إلا إذا تركوا دينهم وتخلـّوا عن الإسلام ، واستمرت الحرب الصليبية في هذا المكان من الأرض وكان هدف الروس :

١ ــ الاستيلاء على أرض التتار[1] .
٢ ــ تحويل السكان الى سلاف .
٣ ــ محاربة الإسلام .
٤ ــ الاستيلاء على القسطنطينية والسيطرة على المضائق (البوسفور والدردنيل) .

وكان يدفعها إلى ذلك ظاهراً أنها تريد الاستيلاء على أرض التتار بحجة إيجاد مجال طبيعي لهجرة السكان الذين يزدحمون في روسيا حول موسكو بينما تفتقـــر البلاد التتارية إلى السكان ، وإذا كانت الـــدول

---

(١) يطلق اسم التتار في روسيا وشرقي أوروبا على جميـــع القبائل التركية . ويطلق اليوم اسم التتار على سكان حوض نهر الفولغا من قازان حتى استرخان وشبه جزيرة القرم وجزء من سيبيريا الغربية ويعد بعضهم قبائل الاتراك كافة تتارا .

الأوروبية قد استطاعت أن تؤسس مستعمرات لها في افريقية وما وراء البحار ، ولكنها هي لم تستطع الوصول الى مثل تلك المناطق بسبب انحصارها في مناطق منعزلة ، فلا تشرف إلا على بحار تتجمد معظم أيام العام فلا يمكن الافادة منها ، وعلى هذا فليس لها من مجال طبيعي إلا في المناطق الشرقية حيث بلاد التتار • وأما تحويل السكان الى سلاف فإنما هو للوحدة الوطنية بين سكان البلاد ــ على حد زعمها ــ ، ويعتقد الروس أن كلمة سلاف وإن كانت تدل على قوم إلا أنها تعني الديانة النصرانية أيضاً والمذهب الأرثوذكسي بشكل خاص لذا يجب تحويل جميع السكان إليها وصبغتهم الصبغة التامة بكل ما تعني كلمة سلاف وإلا فلن تتم الوحدة الوطنية ولن يكون هناك تجانس بين السكان •

وأما الاستيلاء على القسطنطينية والسيطرة على المضائق فذلك من أجل الوصول الى المياه الحرة التي تستطيع بواسطتها الاتصال بالعالم الخارجي •

أما واقع الأمر فهو الحقد الصليبي الصارخ على المسلمين والذي يريد تخليص القسطنطينية من أيدي المسلمين واعادتها عاصمة للدولة الأرثوذكسية ، وقد مر بنا كيف عدّ الروس دولتهم وريثة لتلك الدولة التي انقرضت ، وكذلك الانتقام من التتار الذين يشتركون مع العثمانيين في عقيدة واحدة هي الإسلام •

أما الدول الأوروبية الأخرى فقد وقفت موقف المتفرج ،وسرّها ما يحدث لأن ذلك في مصلحتها لسببين :

١ ــ ان في اتجاه روسيا نحو الشرق فائدة للدول الأوروبية حيث لم تتجه نحو استعمار مناطق النفوذ الأوروبي • ولكنهم يقفون أمام الأطماع الروسية إذا ماحاولت الاتجاه نحو (المياه الحرة) ، إذ عندها تستطيع المنافسة الاستعمارية والمزاحمة الاقتصادية •

٢ ـ ان في حرب روسيا للمسلمين والضغط عليهم مصلحة لبقية الدول الأوروبية الأخرى التي تعادي الاسلام أيضاً وتراه أكثر خطراً عليها من أي دين أو عقيدة أو اتجاه • وبقية دول أوروبا تلتقي وروسيا في عقيدة واحدة هي النصرانية وإن اختلفت معها في المذهب • كما أن ذلك يخفف من قوة المسلمين الذين يحاربهم الأوروبيون ويريدون احتلال أراضيهم •

عاش التتار في ديارهم في شبه عزلة عن المجتمعات التي تحيط بهم بعد أن رأت روسيا أثر هؤلاء الذين أجلتهم عن ديارهم في نشر الاسلام على طول الطريق التي سلكوها ولكي تكون العزلة أكثر جدوى أصدرت القيصرية قراراً يجعل اعتناق أي دين يخالف الكنيسة الارثوذكسية أمراً محرماً إضافة الى هذا كله كان الاضطهاد غير بعيد عن المسلمين بل يحدق بهم أفراداً وجماعات فعاشوا في أوطانهم غير مواطنين ، ومن جهة ثانية فقد أفسح المجال للبعثات التبشيرية الارثوذكسية لتقوم بعملها بين القبائل الوثنية وحتى الاسلامية ، وأعطيت الصلاحيات الواسعة لها •

أمام هذا التصرف الروسي قام المسلمون بعدة ثورات متتابعة وكان أهمها ثورة (الباشكير) التي انطلقت عام ١١٨٧ هـ ـ ١٧٧٣ م ولكنها فشلت وقمعت كما قمع غيرها من الثورات بمنتهى القسوة والوحشية وتهجير السكان واحلال الروس محلهم ودك المساجد وتقويض مراكز العلم الاسلامي •

وتحت الضغط الشديد وفي سبيل الوصول الى بعض الحقوق الرئيسية ومن أجل تأمين بعض المصالح اليومية أو استلام بعض الأعمال الضرورية بل حتى من أجل الحصول على لقمة العيش أحياناً وتأمين التعليم في المدارس في كثير من الاحيان كانت جماعات كثيرة توافق

البعثات التبشيرية وتقبل الانتساب الى النصرانية ظاهراً وعلى المذهب الارثوذكسي أيضاً ، وتتم عملية التعميد ، وتسجل في عــداد النصارى وبهذا كان يقل عدد المسلمين في روسيا يوماً بعد يوم ، ويزداد عــدد المعمدين أو بالأحرى الذين دخلوا بالنصرانية .

وفي النصف الثاني من القــرن الثالث عشر للهجرة التاسع عشر للميلاد بذلت جهود جبارة لتنصير القبائل الاسلامية والوثنية على حد سواء عن طريق إنشاء مدراس بينهم من أجل جذب شباب ذلك الوقت إليهم ، وظنوا أنهم ان لم يفعلوا ذلك فلن يفوزوا بتحويل شاب واحد من التتار الى النصرانية .

وبالمقابل فانه خوفاً من ترك النصرانية فان القانون الروسي الجنائي قد تضمن عقوبات صارمة للذين يحيدون عــن الكنيسة الارثوذكسية ، ويعاقب كل مسلم تثبت عليه تهمة تحويل نصراني إلى الاسلام بتجريده من الحقوق المدنية كافة وبحسبة مع الأشغال الشاقة مدة تتراوح بين ثمان سنوات وعشر .

ظنت الكنيسة الارثوذكسية بعد مدة طويلــة مــن تطبيق هــذه الجزاءات أن الامر قد تمّ لها حسب ما تريد ، وانه لم يعد هناك خوف من انتشار الاسلام ، وابلغت ذلك الــى القيصرية فصدر عــام ١٣٢٣ هـ ــ ١٩٠٥ م قرار يقضي بالحرية الدينية . ويا لهول الحادث ...فان احدى وتسعين اسرة اعتنقت الاسلام عام ١٣٢٤ هـ، وان ٥٣ ألفاً قد اسلموا في العام نفسه ، وان قبيلة (الفوتياك) قد انتشر الاسلام بينهم على الرغم من أن معظمهم كان قد عمد ، وان قبيلة (الشيريمس) وهي مثل (الفوتياك) من قبائل (الفن) قد اسلم القسم الاعظم منها على الرغم مــن أن كثيرين منها كانوا نصارى اسما ، وقــد دخلت قراهــم جميعها بالاسلام بسبب

اتصالهم بالتتار والباشكير الذين كانت عاداتهم متشابهة الى حدما ، وعلى الرغم من أن الضغط الذي كان عليهم والحرب النفسية التي يلقونها كانا قاسيين حيث كانوا يطلقون عليهم اسم (الكلاب المختونين) إلا انهم تحملوا هذا بصبر وجلد وكانوا تحت هذه الظروف القاسية التي يعيشونها يتركون مجتمعاتهم ويؤسسون قرى خاصة بهم على بعد عدة أميال ، وكانوا في سجلات الدولة وثنيين فلم يستطيعوا بناء مساجدلهم لتحريم ذلك فما إن اعلن قانون حرية الاديان حتى ارتفعت في قراهم المساجد •

وأما قبائل (الشوفاش) الذين بلغ عددهم المليون آنذاك ، وكانوا قد عمدوا جميعاً إلا أن الاسلام قد انتشر بينهم حتى عم ، وان كثيراً من القبائل الوثنية ما كان دخولها في النصرانية إلا مرحلة اولى لاعتناقها الاسلام •

(ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) • ولعل الانسان يحب أن يتعرف على الأسباب التي جعلت التتار والقبائل الاخرى تقف هذا الموقف •

ان القبائل التتارية كانت شبه معزولة وواقعة تحت الضغط والارهاب، وكان الروس ينظرون إليهم نظرة خاصة ، وذلك أنهم يربطون العقيدة بالجنس ، كل ذلك قد فرض عليهم نوعاً خاصاً من التعاون والمحبة والألفة والاستعلاء ، فقد كان يساعد بعضهم بعضاً في كثير من النواحي المادية ويتعاونون على الحياة ، مما ادى الى الحب المتبادل والشعور بالثقة بينهم والالفة اضافة الى نظرة الاستعلاء على الروس النصارى حيث يشعر المسلم التتاري على الرغم من الوضع الذي هو فيه أنه أعلى ثقافة وأكثر انسانية وفهما للحياة ومعناها من الروس ما دام هو المسلم ، وان عليه تبعة هي إخراج أفراد مجتمعه مما يعانونه من البؤس والشقاء والظلم والجهل ،كما أن عليه أمانة هي اخراج الناس من الظلمات الى النور الذي يعيش فيه

المسلم،فكان يدعو إلى اعتناق دينه الذي فيه الصلاح والخير،وفيه النظافة والتنظيم،وفيه التعاون والمودة،وهو يدعو على الرغم من علمه بما يحيط به من قسوة ، وما يحدق به من عنت ، يدعو وهو يعرف النتيجة ، ويتحمل المسؤولية ، وان كان الحذر والأناة يأخذان سبيلهما ، واضافة الى ذلك فقد كان التتار ينظرون الى انهم كانوا حكام البلاد الشرعيين ، وان الروس مغتصبون ، ولا يصلحون للأمر ما داموا لا يدينون بدين الحق ، لهذا لم يكن تتاري واحد ليترك الاسلام وقد يكون من الذين عُمّدوا ، أو من الذين سجلوا في عداد النصارى ، كما أن القبائل الاخرى التي تتصل بهم ـ وقد يكون بعضها من الروس ـ ترى فيهم التعاون الذي تنشده والحب الذين تصبو إليه نفوسها ، وقد تحصل على المساعدة المادية من أصحاب اليسر من التتار،فيما تجد نفسها إلا وهي مسلمة حسب الفطرة الانسانية.

امام هذا التحول السريع نحو الاسلام خافت الحكومة الروسية على أتباعها من الذين كانت تريد أن تدخلهم في عقيدتها لذلك أقامت الجمعيات الدينية لحماية دينها ومذهبها ، واستبدلت بالاحرف اللاتينية في المناطق التتارية أحرفاً سلافية حيث فرضت اللغة الروسية رسمياً ، كما أصبحت الاسماء روسية ، ولكن هذا لم يفدها شيئاً إذ قام التتار في هـذه المدة بنشاط كبير بالدعوة الى دينهـم سواء في منطقة (الاورال) أم في شبه جزيرة القرم.

عادت روسيا فألغت الحرية الدينية ، ووقفت بشدة أمام الدعوة الى الاسلام ونشاط التتار في ذلك ، ولكن لم تلبث ان انـدلعت نار الحرب العالمية الاولى عام ١٣٣٣ هـ .

قامت الحرب العالمية الاولى ووقفت روسيا بجانب الحلفاء ضد المانيا وقبل انتهاء الحرب قامت الثورة الشيوعية عام ١٣٣٦ هـ واستلمت زمام الامر ، ووجد المسلمون فرصة للاستقلال ، فقـد كفاهم ما لاقوا مـن

العذاب ، وقد اعلنت الثورة الشيوعية الحرية الدينية مبدئيا لتستفيد من الوقت بل ان منشوراً وزعه لينين جاء فيه « لقد قمنا لننصف المسلمين من شعبنا والذين طال عليهم الظلم » ولنعلم مدى الاضطهاد الذي كان يلاقيه المسلمون يكفي ان نقول : إن هذه الحرية المكذوبة التي أعطيت للمسلمين مؤقتاً قد أعادت سكان مائة قرية في جوار مدينة (قازان) الى الاسلام ؛ كانت قد حملتهم الحكومة القيصرية على النصرانية قسراً منذ مائتي سنة، وحولت مساجدهم الى كنائس ، وأرسلت إليهم القساوسة ، وكانوا لا يزالون في الباطن مسلمين ، ولكن لم يقدروا ان يظهروا الاسلام إلا بعد ان سقطت الحكومة القيصرية إذ لم يصدقوا الحرية التي اعطتها قبل ثلاث عشرة سنة ، فلما زالت عادوا الى الاسلام ، وأعادوا مساجدهم الى اصلها، ولكن ماهي الاغمامة صيف انقشعت حتى ظهر الشيوعيون على حقيقتهم، وكشّروا عن أنيابهم ، فقامت أعمال السلب والنهب تحت اسم مصادرة المحاصيل الزراعية والماشية والثروات تطبيقاً للنظام الاقتصادي الجديد ، وحدث ماحدث من فظائع وجرائم وذبح بالملايين تحت اسم النظام الجديد للحكم ، وقد قتل من المسلمين في هـذه الاحداث خمسة ملايين ونصف المليون منهم مليون ونصف من العلماء وطلبة العلم الشرعيين اضافة الى الذين فروا من أوطانهم والتجأوا الى مناطق ثانية ، كما شنت على المساجد حرباً لاهوادة فيها فان ٧٠٠ مسجد قد حولت في بلاد التتار الى اسطبلات ونواد ، واستمر الاضطهاد مدة ثماني عشرة سنة وان اخذ شكلا أوسع وأشد حتى قامت الحرب العالمية الثانية .

ووقفت روسيا كذلك في الحرب العالمية الثانية بجانب الحلفاء ضد دول المحور ، وتقدمت الجيوش الالمانية في أرضها وخافت روسيا من أولئك الذين عاشوا ردحاً من الزمن في اضطهاد دائم تحت سيطرتها ، فأعلنت حرية الاديان ، وسمحت باقامة الابنية الدينية على نفقة اصحابها وأنشأت أربعة مراكز ادارية اسلامية تحت اشراف أربعة مفتين يقيمون في

(طاشقند) و (باكو) و (اوفا) و (بونايسك في شمالي القفقاس)، وفي الوقت نفسه أرسلت أكثر من مليونين من الروس سكان المناطق التي اجتاحتها الجيوش الألمانية الى المناطق الاسلامية الاخرى .

انتهت الحرب وكان النصر في النهاية للحلفاء وفيهم الروس، وهزمت دول المحور وعادت السياسة الشيوعية الى اصلها وحقيقتها في الاضطهاد والظلم والقتل الجماعي والانتقام وتهجير السكان حتى الوقت الحاضر ولعل أشد انواع الاضطهاد ما وقع في شبه جزيرة القرم .

ان البلاد الإسلامية في روسيا ليست تلك البلاد الفقيرة المهملة وإنما هي غنية بمواردها سواء الزراعية منها أم المعدنية، وإذا كانت المناطق الواقعه شمال غربي بحر الخزر تعدّ صحراء فقيرة فذلك بسبب قلة الأمطار فيها، فإذا ما توفرت لها المياه انقلبت إلى جنات وارفة، ونهر (الفولغا) ليس عنها ببعيد وإنما يخترقها وتمتد أراضيها على ضفافه وجنباته وتحتاج فقط الى بعض المشروعات الاروائية، وأما المناطق الأخرى فغنية جداً وإذا كانت أرض (بشكيريا) تبدو جبلية حيث تنتهي فيها جبال أورال التي تعد حدود قارة أوروبا من جهة الشرق إلا ان هذه المرتفعات إنما هي كومات من المعادن الثمينة النافعة فمنها يستخرج الذهب والفضة ومنها يؤخذ الحديد والنحاس والنيكل والكروم والتنغستين وفيها يوجد الفحم والنفط وإذا كانت موارد الطاقة لاتكفيها الا أن بلاد القفقاس تمتد في جنوبها وهي منبع النفط، والعالم الإسلامي يتمم بعضه بعضاً، كما أن شبه جزيرة القرم غنية بمواردها الحديدية .

والمسلمون في روسيا شأنهم شأن بقية المسلمين في العالم من حيث الزيادة السنوية حيث تزيد عما هي عليه الحال في بقية الشعوب، وتصل



الى ٤٠ بالألف، بينما لاتصل عند غيرهم الى ٢٠ بالألف، وهذا ما يخيف الروس، وإن كانت هذه الزيادة غير موجودة في بعض المناطق، وذلك بسبب الاضطهاد وتهجير السكان أو القتل الجماعي الذي لايزال قائماً في أوقات كثيرة ، وهذا يظهر عندما تزول الاحوال الشاذة القائمة ، ويعود الأمر إلى حالته الطبيعيــة .

واللغة الروسية هــي اللغة الرسمية في المناطق جميعها بـل هــي المفروضة ، أما اللغة الوطنية فلم تبق لها سوى أهمية ثانوية ، وأما كبار الموظفين والوزراء الاتحاديون فهم من الروس ، وإذا كان الرجل من أنصار

الشيوعية فليس له تأثير فعلي ان كان يعود في أصله إلى الإسلام ، وان وجد في مركز كبير فإنما هو واجهة ويكون الذي بيده الحل والعقد من الروس وان كان أصغر مركزاً من الأول •

والامبراطورية الروسية تتألف من ١٤ جمهورية اتحادية ، ست منها من الجمهوريات الإسلامية إلا أنها كلها خارجة عن نطاق روسيا • وهي:

١ ــ قازاقستان •
٢ ــ اوزبكستان •
٣ ــ تركمانستان ،•
٤ ــ طادجكستان •
٥ ــ قيرغيزيا •
٦ ــ أذربيجان •

أما المسلمون في روسيا فيشكلون جمهوريات من الدرجة الثانية ، وتسمى جمهوريات ذات استقلال ذاتي ، ولكنها ترتبط بجمهورية روسيا الاتحادية التي مركزها موسكو وتتبعها مباشرة •

ومعظم هذه الجمهوريات تقع في شرقي روسيا سوى القرم التي تقع في الجنوب ، وقد فصلت هذه الجمهوريات عن الجمهوريات في تركستان بمنطقة (اورنبرغ) التي أصبح اسمها (شكالوف) ، والتي ارتبطت بدورها بموسكو للفصل بين المسلمين خوفاً من إرسال الطلبة التتار الى (بخارى) وغيرها كما كان يحدث ، وأهم هذه الجمهوريات هي :

١ ــ جمهورية باشكيريا

تقع في جنوب جبال أورال وتبلغ مساحتها ١٤٣،٦٠٠ كيلو متر مربع أي مايساوي ثلاثة أرباع مساحة سورية ولبنان ، ويقدر سكانها اليوم



بأربعة ملايين ،وتصل نسبة المسلمين بينهم الى ٥٥ في المائة على الرغم من هجرة الكثيرين من الروس إليها بسبب غناها .

لاتعدّ جبال (الأورال) حداً فاصلاً بين هذه المنطقة الاسلاميـــة وغيرها من العالم الإسلامي فالجبال قليلة الارتفاع كثيرة الممرات وبسبب غنى هذه الجمهورية فقد كثرت فيها الطرق المختلفة التي تقطع الجبال،اضافة الى الأنهار الكثيرة التي تنحدر نحو الجنوب والتي تشكل ممرات طبيعية

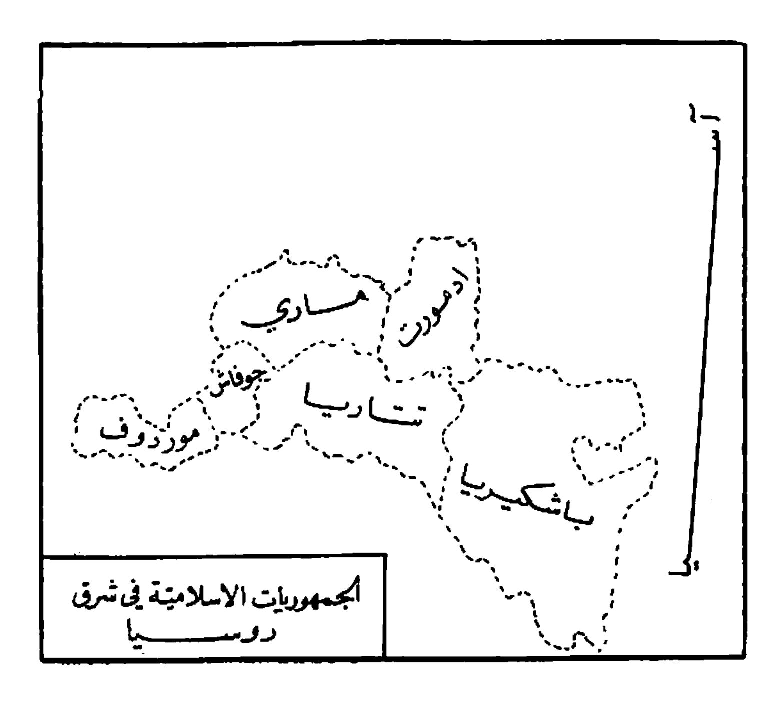
تصلها مع السهول الجنوبية •

تعدّ جمهورية باشكيريا غنية بمواردها الزراعية والمعدنية على حد سواء فالزراعة متقدمة بسبب التربة الخصبة التي تجرفها الأنهار من الجبال ، والأنهار كثيرة حيث يأتيها نهر (أوفا) من الشمال ، وترفده أنهار تنبع من داخل البلاد ومن الشرق ينبع نهر (بيلافا) متجهاً نحو الجنوب ثم يشكل قوساً وينعطف نحو الشمال ويغطي أكثر من ربع مساحة البلاد ، كما تأتيه روافد من الجنوب ، وتلتقي أخيراً هـذه الأنهار كلها عند عاصمة البلاد مدينة (أوفا) وتخرج باسم نهر (بيلافا) الذي يتجه نحو الشمال الغربي وعند الحدود يلتقي بنهر (كاما) أهم روافد نهر (الفولغا) ، وفي الجنوب تنبجس ينابيع كثيرة تشكل أنهاراً ترفد نهر (أورال) وأهمها النهر الذي يلتقي به عند مدينة اورنبرغ (شكالوف) •

كما أن هذه المنطقة غنية بالثروة المعدنية إذ توجد في جبال (أورال) معادن الفضة والذهب حيث تشتهر المنطقة بمناجمها وغناها ، كما يوجد فيها الحديد والنحاس والنيكل والتنغستين ولكـن الفحم الموجـود في أرضها قليل ومن النوع غير الجيد لذا تضطر الى استيراده •

تعدّ مدينة (أوفا) عقدة مواصلات مهمة حيث تتصل مع الجنوب بخط حديدي وآخر يتجه الى الغرب ويتفرع الـى فرعين ومنهـا يخرج خطان يصلانها بسيبريا إضافة الى طرق السيارات الكثيرة والنهرية •

ويعود الباشكير في أصولهم الأولى الى العنصر التركي ، وقد احتل الروس بلادهم عام ٩٦٥ هـ في عهد (ايفان الرابع) الذي عرف بالرهيب وقـد قام (الباشكير) بعـدة ثورات ضـد الروس أشهرهـا التـي انطلقت عام ١١٨٧هـ ولكن هـذه الثورات كانت تخمـد بكل وحشية وقسوة ، وعلى الرغم من هذا الاضطهاد فقد بقيت منطقة باشكيريا منطقة



إسلامية اذ وجـد فيها عام ١٣١٥ هـ ١٥٥٥ مسجداً و ٦٢٢٠ مدرسـة إسلاميـة .

وبعد الثورة الشيوعية أنشئت جمهورية (باشكيريا) عام ١٣٣٨هـ، وكانت عاصمتها مركزاً يلتقي فيه مسلمو روسيا ، ولا يعلم شيء عن وضع المسلمين اليوم في هذه الجمهورية.

٢ ـ جمهورية تتاريـا

تقع جمهورية تتاريا في شرقي روسيا على حدود جمهورية(بشكيريا) الغربية وفي منطقة سهلية بين سفوح جبال (أورال)من جهة الشرق وتلال (بينزا) من جهة الغرب ، لذا تكون ملتقى للمجاري المائية القادمة مـن الشرق والأنهار المنحدرة من الغرب،فمن جهة الشرق يجري نهر(كاما) ومن

الغرب يأتـي نهر (الفولغا) فيلتقيـان جنوب مدينـة قازان حـاضرة الجمهورية ويتابع الفولغا جريانه نحو الجنوب ، لذا كانت المنطقة غنية بمزروعاتها •

تبلغ مساحة جمهورية (تتاريا) ٦٨،٠٠٠ كيلو متر مربع أي مايقرب من ثلث مساحة سوريا ولبنان ، ويقيم على أرضهـا ثلاثة ملايين ونصف المليون من السكان وتزيد نسبة المسلمين على ٦٥ في المائة على الرغم من كثرة الروس الذين قدموا إليها لأغراض اقتصادية وسياسية بل ولأهداف استعمارية •

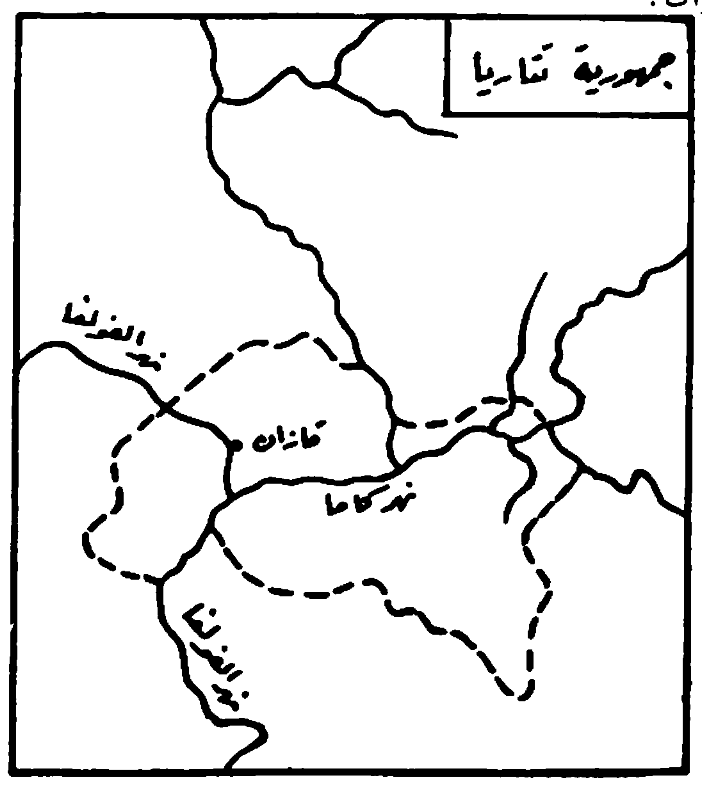
احتل الروس منطقة التتار هـذه عام ٩٦٠ هـ وفي عهـد (ايفان الرهيب) ، وعندما دخلوا العاصمة (قازان) بدأوا يجلون أهلها ليحلوا محلهم أبناء جلدتهم ، وقد وجدوا انهم ينشرون الاسلام أينما ذهبـوا فأبقوا القسم البـاقي في مواطنهم ولكن الاضطهاد لـم يكـن بعيـداً عنهم ، فقد كانت تحل بهم النكبات المتتالية بسبب الحقد الصليبي ، ومع ذلك فقد احتمل السكان كل انواع العذاب ، وكان رد فعلهم أقوى حيث زادهم تلك تمسكا بدينهم إذ كانوا يرسلون أبناءهم إلى مدينة (بخارى) ليتلقوا العلوم الدينية هناك حتى سقطت تلك المدينة بيـد الروس عـام ١٣٠٢ هـ •

وكانت (قازان) ذات جامعة اسلامية ومطابـع تخصصت بطباعـة المصاحف والكتب الدينية، وكان فيها مدارس ومكتبات اسلامية وكان دورها الاسلامي يزيد على دور دمشق والقاهرة واستانبول وحافظت على طابعها هذا حتى الثورة الشيوعية وان كان بعض السكان قد أبدوا شيئاً مـن التساهل أو ميلا نحو النصرانية إلا انه ظهر أنه كانت اتجاهاً سياسياً فما ان تعطى الحرية الدينية حتى يعودوا الى اسلامهم واستمر التتار يخفون اسلامهم طيلة هذه المدة التي تزيد على ثلاثة قرون ونصف فمن الصعب أن تزول عقيدتهم بسرعة في العهد الشيوعي •

سارت الشيوعية على سياسة القيصرية نفسها في معاملتها للمسلمين فقد أنشأت جمهورية (تتاريا) هذه عام ١٣٣٩ هـ ولكنها حولت ٧٠٠ مسجد في بلاد التتار الى مواخير واصطبلات وكان في (قازان) وحدها ١٢ مسجداً ، أزيل معظمها من الوجود .

وتكاد تكون حالة المسلمين هناك مجهولة ولا يستطيع المرء أن يتوقع شيئاً بسبب خوف السكان من جانب وثبات التتار أيضاً من جانب آخر حسبما ظهر خلال التاريخ .

والتتار كالبشكير يتكلمون لغة تعود الى اصل تركي كما انهم يعودون في الأصل الى أرومة واحدة انطلقت من اواسط آسيا وان حدث الاختلاف على مدى الايام ويعدّ بعض المؤرخين التتار مجموعة كبيرة من الاتراك .



٣ ـ جمهورية الجوفاش

وهي مجموعة تلال قليلة الارتفاع تقع في غرب جمهورية تتاريا بين نهر (الفولغا) الذي يجري عند حدودها الشمالية وبين أحد روافده الذي يجري من الجنوب الى الشمال قريباً من حدودها الغربية، وتبلغ مساحة هذه الجمهورية ١٨٫٣٠٠ كيلو متر مربع أي قريباً من ضعف مساحة لبنان، ويسكنها ما يقرب من مليون ونصف المليون من (الجوفاش) الذين يتكلمون لهجة ليست من أصل تركي.

احتل الروس بلاد (الجوفاش) عام ٩٦٠ هـ ، واتجهت اليها الارساليات التبشيرية، واستطاعت التأثير فيهم حسب ادعائها، وعُمّدوا جميعاً، الا ان الاسلام قد انتشر بينهم حتى عم معظم مناطقهم، وهذا ما ظهر عندما اعلنت حرية الاديان عام ١٣٢٣ هـ ، الأمر الذي سبب الضغط عليهم، واستمر هذا الضغط بعد الثورة الشيوعية، وانشأت لهم جمهورية خاصة بهم عام ١٣٤٤ هـ ، وأصبحت عاصمتهم مدينة (شبوقساري) التي تقع في شمال البلاد قريبة من مجرى (الفولغا).

٤ ـ جمهورية موردوف

وتقع في الجنوب الغربي من جمهورية (الجوفاش) وهي أكثر المناطق الاسلامية امتداداً نحو الغرب، وتشكل السفوح الشمالية لتلال (بينزا)، ويزيد سكانها على المليون وربع المليون، وهي ذات لغة خاصة لا تمت الى الأصل التركي، تبلغ مساحتها ٢٥٫٠٠٠ كيلو متر مربع اي ما يقرب من مرتين ونصف من مساحة لبنان.

٥ ـ جمهورية ادمورت

وتقع شمال جمهورية (تتاريا)، وتشمل بعض الهضاب الاورالية الغربية، وتنبع منها بعض الانهار التي ترفد نهر (الفولغا) سواء من

جنوبها فتنحدر مباشرة نحو (كاما) أم من شمالها فتشكل قوسه وتؤول في النهاية الى (الفولغا) وان نهر (كاما) يمر من جنوبها الشرقي.

تبلغ مساحة جمهورية (ادمورت) ٤٢٫١٠٠ كيلو متر مربع أي ما يعادل مرة ونصف من مساحة فلسطين، ويقيم على أرضها ما يقارب المليون من السكان.

و(الادمورت) من الشعوب التي لا تتكلم لهجة تركية، وتعيش بينهم قبائل من (الفن) مثل (الفويتاك) و(الشيريس) وقد احتكت هاتان القبيلتان بالتتار والباشكير جيرانهما في الجنوب والجنوب الشرقي فاعتنقتا الاسلام على الرغم من ان افرادهما كانوا نصارى اسماً، وعُمّدوا جميعاً، وبعضهم كانوا وثنيين، وفي سجلاتهم ضمن عدادهم فلم يسمح لهم باقامة المساجد، ولما كانوا يختنون أطفالهم ولم يشهروا إسلامهم فقد كان الروس يطلقون عليهم اسم (الكلاب المختونون) لذا يهجرون مجتمعاتهم ويقيمون في قرى خاصة لهم ولم تلبث ان ظهرت انها قرى اسلامية، وارتفعت فيها المساجد عندما اعطيت الحرية الدينية لمدة محدودة.

لقد احتلت القيصرية بلادهم ٩٦٨ هـ ، وحاولت فصلهم عن جيرانهم المسلمين كي لا يتأثروا بهم ولكنها لم تفلح فعندما جاءت الشيوعية تتمم ما بدأته القيصرية وجدت أن عدم الاحتكاك لا يتم إلا بوضعهم ضمن كيان خاص فأنشأت لهم جمهورية خاصة عام ١٣٥٣ هـ ، علّها تستطيع أن تبقي الذين لم يدخلوا في الاسلام بعد - حسب ظنّها - على ديانتهم السابقة سواء الوثنية ام النصرانية اسماً.

تقع عاصمة البلاد (ايجفسك) في القسم الجنوبي وهي عقدة مواصلات مهمة، فتتصل مع الشمال والشرق والغرب بخطوط حديدية.

٦ - جمهورية ماري

وتقع شمال جمهوريتي (تتاريا) و(الجوفاش)، وهي منطقة سهلية يمر

نهر (الفولغا) من جنوبها ، وترفده فيها بعض الانهار ، وهي تشغل الجزء الجنوبي من منطقة (كيروف).

تبلغ مساحتها ٢٣٫٨٠٠ كيلومتر مربع أي اكثر من ضعف مساحة لبنان ، ويسكنها ثلاثة أرباع المليون ، وشعب (الماري) يتكلم لغة خاصة به ، لا تمت الى اللغة التركية بصلة وعاصمتهم (يوشكار أولا)

احتل الروس أرضها عام ٩٦٠ هـ وبقيت مناطق مهملة ، ويلقى سكانها الاضطهاد ، وعندما قامت الثورة الشيوعية رأت من مصلحتها إقامة جمهورية خاصة لهذا الشعب ، وتمّ ذلك عام ١٣٥٥ هـ.

٧ - القرم

القرم شبه جزيرة تقع شمال البحر الأسود ، وتقترب من جهة الشرق من البر مكونة شبه جزيرة (كرش) التي تكوّن باقترابها من البرمضيق (كرش) الذي يصل بين البحر الأسود وبحر (آزوف) ، وتشكل الجبال القسم الجنوبي من شبه جزيرة (القرم) بينما الشمال سهول فسيحة تضيق في النهاية فلا تتصل بالبر الاوروبي إلا ببرزخ ضيق جداً ، وتبلغ مساحتها ٢٦٫١٥٠ كيلومتر مربع.

وصل الاسلام الى القرم عن طريق التتار إذ اعتنقته القبيلة الذهبية عام ٧٤٠ هـ ، التي أسسها (باطوخان) أحد أحفاد جنكيز خان عام ٦١٥ هـ واستقر التتار في المنطقة وعمروها ، ثم استولوا على املاك إمارة (جنوه) في (القرم) وبحر (آزوف) حيث كان الجنويون يسيطرون على الجزء الجنوبي الشرقي من شبه جزيرة القرم وهي المنطقة الجبلية كما كان شمال بحر (آزوف) بقبضتهم ، ولما استولى التتار على هذه الاملاك عام ٧٨٠ هـ حكموها من قبل العثمانيين الذين كانوا في عهد توسع بينما كان التتار في عهد ضعف اضافة الى أن الروس قد بدأت شوكتهم تقوى ،

ففضّلوا أن يكونوا عمالاً لاخوانهم العثمانيين بدلاً من أن يخضعوا لخصومهم الروس الذين بدؤوا ينازلونهم. ولما دمّر تيمورلنك هذه الدولة فانقسمت إلى ثلاث خانيات، كانت القرم إحداها، وقد تولى حكمها أسرة (كيراي) (٨٣١ - ١١٩٨ هـ) التي وقفت أمام توسع الروس، وقد حاصر (محمد كيراي) موسكو عاصمة روسيا عام ٩٢٨ هـ، وأخضع حاكمها (واسيلي) وأجبره على دفع الجزية. كما تمكن (دولت كيراي) من دخول موسكو ٩٧٩ هـ، ثم ضعفت هذه الدولة، وبدأت اعتداءات الروس الذين استطاعوا عام ١١٨٥ من قتل ثلاثمائة وخمسين ألف قرمي. وعندما أراد (شاهيم كيراي) اعادة قوة دولة القرم داهمته قوات كاترينا الثانية بقيادة الجنرال (بوتمكين) فدخل القرم عام ١١٩٨ هـ.

انتصر تتار (القرم) علىٰ الروس، وحكموا منطقة (الدونتز) من روسيا الجنوبية بل استطاعوا ان يصلوا الى مدينة موسكو وان ينهبوها عام ٩٧٩ هـ، كرد فعل ضد أعمال الروس الذين دخلوا بلاد التتار الشرقية، وشردوا أهل (قازان) و(الحاج ترخان)، ولكن الروس عادوا فانتزعوا من تتار القرم املاكهم الشمالية عام ١٠٩١ هـ ومنطقة (آزوف) عام ١١٠٧ هـ مما جعل العثمانيين ينزلون في شبه جزيرة القرم، ويتخذون من مناطقها الجنوبية مراكز لهم، كما استلموا مضيق (كرش) من انصارهم التتار.

بدأت الدولة العثمانية تضعف وتتراجع عن مواقعها، وان كانت قد استردت مدينة (آزوف) سنة ١١٢٣ هـ إلا أنهم قد فقدوا القرم نهائياً عام ١١٩٨ هـ، وخضعت للروس الذين بدؤوا في اضطهاد التتار ومحاربة الاسلام، حيث طردوا منها ٥٠٠ الف مسلم تتاري، واصبحت القرم ملكاً للتاج الروسي يتصرف فيها الامبراطور كيف يشاء. وبدأت

هجرات القرم نحو تركيا حتى بلغت مليون مهاجر في مطلع القرن الرابع عشر هجري.

اعطت روسية القيصرية الحرية الدينية عام ١٣٢٣ هـ فقام التتار بنشاط اسلامي كبير، واندلعت الحرب العالمية الأولى عام ١٣٣٣ هـ ثم لم تلبث ان قامت الثورة الشيوعية ١٣٣٦ هـ، عندها استغل التتار هذه الفرصة وأعلنوا استقلال بلادهم في ٤ ـ ٢ ـ ١٣٣٦ هـ، وكان عدد سكان دولتهم خمسة ملايين نسمة، واجريت الانتخابات في البلاد، واجتمع المؤتمر الوطني، ووضع دستوراً للبلاد.

نجح الشيوعيون في ضم المناطق التي استقلت عنهم والتي كانت خاضعة لروسيا القيصرية، واتجهوا الى القرم، ولكن التتار قاوموا العدوان الروسي ببسالة فائقة، وعندما عجزوا عن ردّ أعدائهم لكثرتهم الكبيرة اعتصموا بالجبال، وكان الشعب جميعه يمد المعتصمين المقاومين في الجبال، فلما رأى الروس أن حبل المقاومة طويل لجؤوا إلى حرب التجويع، فنقلوا ما كان في الجزيرة المكافحة من أقوات، الامر الذي عرّض السكان للهلاك، وقد نشرت جريدة (الأزفستيا) في عددها الصادر في ٢٥ تموز ١٩٢٢ تقريراً للرفيق كالينين عن مجاعة القرم جاء فيه «بلغ عدد الذين أصابتهم محنة الجوع في شهر كانون الثاني ٣٠٢٫٠٠٠ مات منهم ١٤٫٤١٣، وارتفع عددهم في شهر آذار الى ٣٧٩٫٠٠٠ مات منهم ١٩٫٩٠٢ نسمة، وبلغ في شهر نيسان ٣٧٧٫٠٠٠ مات منهم ١٢٫٧٥٤ وفي شهر حزيران ٣٩٢٫٠٧٢ ولم يذكر عدد الموتى إلا أنه قال: «ان أكل لحم الانسان لم يكن من الحوادث التي يستغرب لها او تبدو عجيبة في بابها... وكانوا قد قتلوا من السكان ١٠٠ الف مسلم قبل عام اي اثناء دخولهم القرم، كما أنهم هجروا خمسين الفاً آخرين، ونصبوا رئيساً لجمهورية القرم الاسلامية الشيوعي الهنغاري (بالاكون)،

وقد أعدموا رئيس الجمهورية السابق (جلبي نعمان جهان) وألقوا جثته في البحر.

فاستمر هذا الضغط وذلك الارهاب حتى جرّدوا المسلمين من أملاكهم وما لديهم من ثروات، وشرعوا يهدمون المساجد والمعاهد الدينية فلم يبق من ١٥٥٨ مسجداً بالقرم إلا آحاد تافهة، أما جمهرتها الكبرى فقد أزيلت أو تحولت الى اندية وقهوات ودور لهو واصطبلات للخيل وحظائر للماشية، وبدأ عدد سكان القرم البالغ خمسة ملايين عند قيام الثورة الشيوعية يتناقص تدريجياً.

وفي عام ١٣٣٨ أعلنت موسكو عن قيام جمهورية القرم ذات الاستقلال الذاتي، وعينوا عليها رئيساً شيوعياً هو (ولي ابراهيم).

غزا الالمان المنطقة اثناء الحرب العالمية الثانية، ودانت لهم أجزاء واسعة من روسيا حتى اقتربوا من موسكو وأثناء المعارك التي احتدمت بين الالمان والروس استسلم للالمان على أبواب القرم الفيلق القرمي، وكان تعداده ثمانية عشر ألفاً انتقاماً من الروس وتخلصاً منهم وظناً بأن الالمان أفضل من الروس الذين اذاقوهم الويلات وأنزلوا بهم النكبات، ولم يدر في خلدهم أن الكفر ملة واحدة، وان عداء الكفر انما هو موجه للاسلام بالدرجة الأولى، وبمجرد أن عرف الالمان أن المستسلمين من المسلمين، نزعوا منهم السلاح، وساقوهم حفاة مسافة ١٥٠ كم سيراً على الاقدام دون طعام، وقد سقط بعضهم على الطريق من شدة الاعياء، ثم سجنوا في جامعة بناؤها قلعة من قلاع العصور الوسطى لا يصل اليها النور، ومنع عنهم الطعام بحجة نقص المواد الغذائية عند الالمان، فبدؤوا يتساقطون جوعاً، وقد امتدت ألسنتهم تقطر منها الدماء وقد ثلّمتها جدران السجن أثناء أخذها الدهان منها، وكنت ترى الرجل يقفز على الجدار علّه يصل الى منطقة أعلى لم يذهب ما عليها من

الدهان ، وقد شخصت عيناه ، وامتد لسانه ثم لا يلبث أن يقع على جثث سبقته ، وبدأ يخف عدد الموتى بدلاً من أن يزداد مع المدة فعرفت الضابطة الالمانية أن بعضهم يأكل لحم بعض من مات ، فاقتادتهم خارج السجن وقتلتهم رمياً بالرصاص جميعاً ، لم ينج منهم سوى ثلاثة شاء الله لهم الحياة ، حتى تصل الينا أخبار هذه الكارثة الأليمة.

على الرغم من هذه الكارثة التي حلت بالتتار على يد الألمان ، ادعى الروس أن التتار شعب من عملاء الالمان تجب محاكمته إذ اجتمع مجلس السوفيت الأعلى في ١٣٦٣/٥/٢٠ هـ ، وأصدر قراراً بالغاء جمهورية القرم نتيجة الخيانة ، والحاقها بجمهورية اوكرانيا . لذا دخلوا عاصمة القرم (باغجة سراي) الواقعة شرق مدينة آق يار (سيباستيبول) اليوم بين المرتفعات فبدؤوا بطمس معالم الإسلام فيها حتى المساجد الأثرية مثل جامع (خان) وجامع (يازار) وجامع (اصماقويو) وغيرها كثير ، وجمعوا المصاحف الكريمة ، وأحرقوها في الميادين العامة ، وقتلوا من السكان ما يقرب من نصف مليون ، وأجلوا الباقي عن بلادهم ، وحلت جمهوريتهم .

ولا يزال تتار القرم يهيمون على وجوههم في مناطق متفرقة من مجاهل سيبريا وغيرها يطالبون بعودتهم الى مواطنهم ، واعادة جمهوريتهم على الرغم من انهم يعرفون أنها صورة وألعوبة بيد الزوس يعرفون ذلك من تاريخهم ففي عام ١٣٤٧ هـ قتل الروس رئيس جمهورية القرم (ولي ابراهيم) مع جميع وزرائه ،لأنه اعترض على فكرة ستالين باقامة دولة يهودية في القرم وبالتالي تدفق الهجرة اليهودية نحوها وبعد عام نفي ٤٠ الف قرمي إلى سيبيريا للعمل في معسكرات العمل الاجباري فمات الكثير منهم من شدة البرد والجوع وقسوة العمل . وفي عام ١٣٤٩ هـ قتلوا أيضاً رئيس الجمهورية (محمد قوباي) مع وزرائه ،لأنه اعترض على

سياسة التجويع في بلاده إذ استولت حكومة موسكو على منتجات القرم الزراعية وبدأت تبيعها في الخارج. ثم كرروا الحادثة عام ١٣٥٦ هـ مع رئيس الجمهورية (الياس طرخان) إذ استدعوه الى موسكو وقتلوه مع وزرائه رمياً بالرصاص على الرغم من انهم كانوا هم الذين يوافقون على تعيين هؤلاء الرؤساء والوزراء.

وبعد عشر سنوات من النفي خففت السلطات الروسية المراقبة عن المنفيين وسمح لهم بتغيير أماكن سكناهم على الا يتعدى ذلك حدود الولايات التي تم النفي إليها.

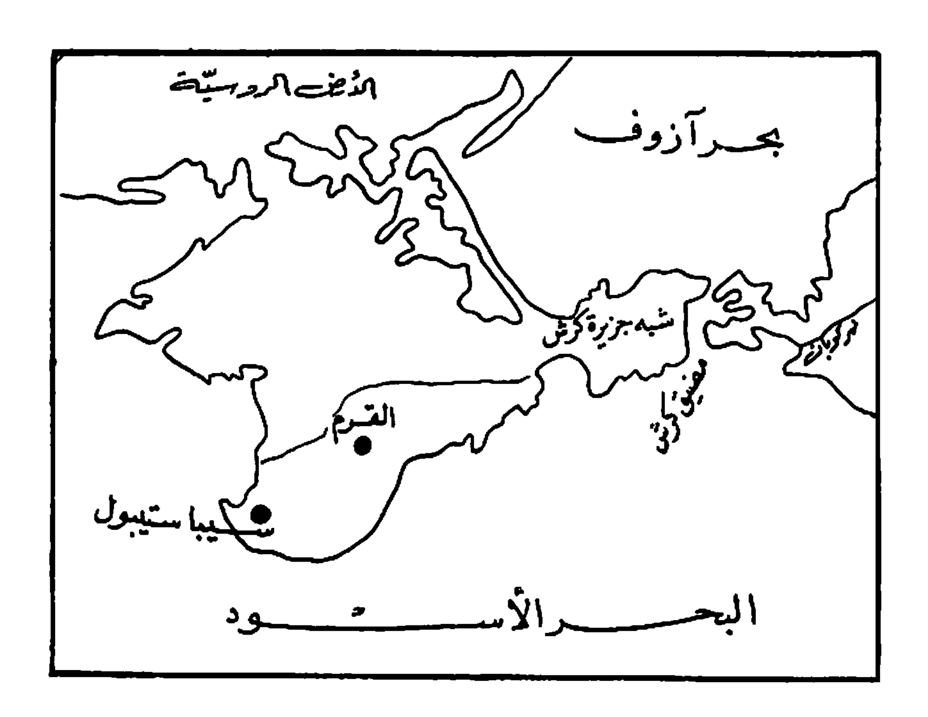
وفي عام ١٣٨٧ اتخذ مجلس السوفيت الأعلى قراراً بالغاء قرار اتهام شعب القرم بالخيانة إلا أن قرار تحريم العودة ما زال قائماً.

ومنذ عامين شعر الروس أن بعض المنفيين من تتار القرم يعودون إلى بلادهم دون إذن من السلطات الرسمية، فأرسل الروس بعض أفراد رجال الأمن يخربون البيوت التي قطنها هؤلاء العائدون فوق رؤوس ساكنيها واقتادوا من نجا من الموت منهم إلى السجون، ورفضوا طلبات الذين طلبوا العودة من التتار.

وشبه جزيرة القرم غنية بثروتها المعدنية وخاصة الحديد، كما أنها شهيرة بفواكهها حيث يؤمن لها مناخها الدافىء جواً ملائماً لهذا النوع من الزراعة وهذا ما لا يتوفر الا في مناطق محدودة جداً من أراضي الامبراطورية الروسية.

أما المناطق الأخرى من روسيا فالمسلمون فيها متفرقون وقليلون وقد استقرت جماعة صغيرة من التتار المسلمين في أوائل القرن التاسع الهجري في (ليتوانيا) التي تتبع اليوم الامبراطورية الروسية، والتي تعد جمهورية من جمهورياتها الاتحادية وقد احتفظ هؤلاء المسلمون بدينهم وسط ذلك المجتمع النصراني، وكانوا يتزوجون من الليتوانيات

والبولنديات ، وكانت هذه النسوة ينشأن نشأة اسلامية ويربين أولادهن على ذلك ، الأمر الذي جعل عدد المسلمين يزداد بصورة اكثر من غيرهم ومعلوم أن المسلمين يباح لهم التزوج بأكثر من واحدة الأمر الذي يجعلهم بحاجة الى نساء أخريات غير نسائهم ، وكان عملهم ذلك في سبيل زيادة



عددهم ، ومحاولة ادخال عدد من السكان في الاسلام .

كـذلـك توجـد جماعـة من المسلمـين في أقصى الشمال حول مـدينـة (اركانجلسك) على البحر الابيض الشمالي .

وهكذا يبلغ عدد المسلمين في روسيا اثني عشر مليوناً ، وتكون نسبتهم بالنسبة الى سكان روسيا البالغ عددها ١٩٠ مليونا هي ٦ في المائة بينما نسبتهم في كل أراضي الامبراطورية هي أكثر من خمسة وعشرين في المائة من السكان .

وقد ضمت روسيا اليها منطقة من رومانيا تضم أكثر من ربع مليون مسلم معظمهم من الأتراك والتتار وذلك إثر الحرب العالمية الثانية .

كما لا تخلو منطقة ولا مدينة كبرى من عدد من المسلمين يعيشون فيها في أنحاء بلاد الروس كافة ، ويلاقون ما يلاقون من العذاب .

الفصل الثالث

سيبريا

يطلق اليوم اسم سيبيريا على كل الأراضي في شرق اوربا الى سواحل المحيط الهادي في أقصى الشرق والتي تقع شمال تركستان والصين الى المحيط المتجمد الشمالي ، وهي ذات أراضٍ واسعة تزيد مساحتها على ١٢ مليون كم٢ ، وهي مناطق سهلية في الغرب بينما تشكل المرتفعات معظم أجزائها في الشرق ، وتسيل مياهها من الجنوب الى الشمال على شكل أنهار غزيرة تتجمد مياهها في الشتاء لشدة البرد الذي يسود المنطقة ، وتغطي الغابة مساحات واسعة يليها صحارى باردة وواسعة وتنتقل في هذه الأرجاء قبائل تختلف وسائل حياتها بين منطقة وأخرى ، وتعود في أصلها الى العنصر الأصفر من الجنس المغولي ، وان كانت قليلة العدد لطبيعة بلادها الا أنها ذات أهمية.

لم يترك الدعاة المسلمون هذه القبائل دون الارتحال اليها في محاولة دعوتها إلى الاسلام ، وخاصة أولئك البخاريين الذين كانوا يشقون طريقهم اليهم ، ينتقلون بينهم ، ويعيشون معهم ، يدعونهم على الرغم مما في ذلك من مشقة وعناء ، وقد لاقى كثير من الدعاة مصرعهم ، ولكنهم ما انفكوا يخرجون اليهم لم يثنهم عن عزمهم أمر من أمور الدنيا ، ولم يكن ليرهبهم الموت ، أو ليخيفهم القتل ، فهم يعملون بغية نيل الشهادة للوصول الى الجنة.

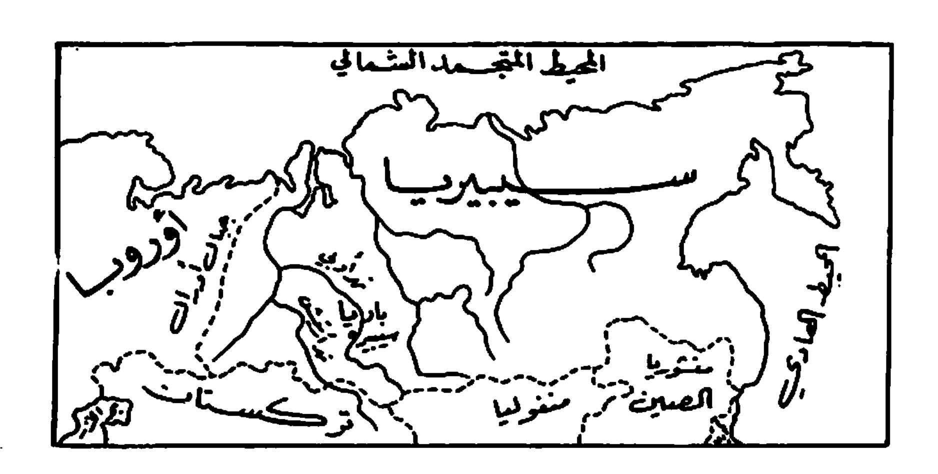
هذه الحقبة من التاريخ تكاد تكون مجهولة فلا نستطيع ان نتلمس فيها انتشار الدعوة وتوسع الاسلام ، وإن لم يخل من نجاح حصل عليه الدعاة فنشروا دينهم ولكن بين أفراد قلائل وجماعات معدودة لم يكتب لهم ذلك وان كان لهم أثر بارز في مجتمعهم.

لقد انضوت سيبيريا تحت لواء الحكم الإسلامي إذ استطاع (كوتشم خان) أحد أمراء القبيلة الذهبية أن يغزوها ويتولى أمرها عام ٩٧٨ هـ ، وكما يقال أن ابناء تلك الجهات قد استدعوه ليكون خاناً عليهم وقد خلا هذا المنصب عندهم من وريث يملؤه ، وقد بذل هذا الأمير قصارى جهده لدخول رعاياه في دينه الاسلامي ، وأرسل الى (بخارى) يطلب الدعاة ليساعدوه في مهمته التي لاقت شيئاً من النجاح.

ان الزحف الروسي القادم من الغرب والذي كان يلاحق التتار في بلادهم ويتعقب المسلمين حيثما وجدوا ، هذا الزحف قد حال دون استمرار انتشار الإسلام بين تلك القبائل الوثنية اذ استطاع الروس احتلال عاصمة التتار في تلك الارجاء وهي مدينة (سيبير) الواقعة على نهر (اوبي) وذلك عام ٩٨٨ هـ أي بعد عشر سنوات فقط من قيام (كوتشم خان) بالأمر ، وعرفت البلاد التي تقع شرقي جبال اورال كلها باسم (سيبيريا) تخليداً لذلك الاستيلاء على تلك المدينة ، ولكن هذا لم يكن كافياً لمنع انتشار الإسلام ، فقد استمر قدوم الدعاة من مدينة (بخارى) وبقية مدن بلاد ما وراء النهر وحتى من مدينة (قازان) التي كانت في قبضة الروس منذ أكثر من ثلاثين عاماً ، واستطاع هؤلاء الدعاة أن ينشروا الإسلام بين قبائل التتار الضاربة بين نهري (اوبي) ورافده (ارتيش) والتي يطلق عليها اسم (باريا) وذلك في عام ١١٥٨ هـ ، واذا بقي بعضها على الوثنية حتى بداية القرن الثالث عشر فانها جميعهاً بعد ذلك أصبحت مسلمة.

ويجب الا ننسى أولئك المسلمين الذين يعيشون في مجاهل سيبيريا منفيين ، ولا تكاد تخلو منهم منطقة لكثرتهم بل لرفدهم في كل عام بأفواج جديدة غضب عليها الروس.

ولا نعرف اليوم أوضاع أهالي سيبيريا وحياتهم الاجتماعية وهل استطاع الروس أن يخمدوا أثر الإسلام في تلك الأصقاع ويحولوا دون انتشاره أم لا تزال أشعة من سناه تخترق بهيم الظلام الحالك ولا تستطيع مناجل الروس رؤيتها ولا مطارقهم من طرقها؟ هذا ما يخشاه المسيطرون هناك وهذا ما نتوقعه فان الايمان لا يحده سيف وما كان في القلب لا تصل اليه مادة الا أن يشاء الله ذلك ، وان في كل رجل اعتنق الاسلام في تلك الجهات درساً ، وفي كل مقاومة عبرة ، وفي كل ثبات حكمة وفي كل نكبة انذاراً وموعظة.



الفصل الرابع

قفقاسـيا

هي البلاد الواقعة بين البحر الأسود وبحر الخزر من جهتي الغرب والشرق وبين نهري (ترك) و(كوبان) شمالاً ونهري (كورا) و(ريفون) جنوباً أي تشمل جبال القوقاز وسفوحها الشمالية والجنوبية، وان اصبح هذا الاسم يطلق اليوم على مناطق أوسع بكثير شمالاً وجنوباً. وجبالها عظيمة الامتداد، كثيرة الارتفاع صعبة الاجتياز، قليلة الممرات، تمتد على طول ١٢٠٠ كم لتصل ما بين البحرين الأسود والخزر، وتعد أعلى جبال أوروبا حيث يصل الارتفاع الى ٥٦٣٠ م في قمة (البروز)، وتتشكل فيها الثلاجات الدائمة كثلاجة «ماروخ»، وهي بارتفاعها الشاهق وامتدادها الواسع تسد ما بين البحرين تماماً وتعد الحد الفاصل بين أوروبا وآسيا، والممر الوحيد في وسطها هو ممر «دريال» الذي يجري فيه أحد روافد نهر (ترك) العليا، كما أن منطقتين يمكن اجتياز هذه الجبال من خلالهما، وهما واقعتان على سيف البحر من الشرق والغرب، وبواسطة هذه الممرات تسيطر هذه البقعة على التجارة بين اوروبا وآسيا.

ان جميع الشعوب التي دخلت اوروبا عن طريق قفقاسيا واجتازت احدى هذه الممرات قد استقر بعضها بقصد الغلبة على المنطقة، وتحصنت فيها جماعات رغبة في التجارة، والتجأت إليها أقوام فراراً من جيرانها

أو غزاتها ، وكانت أن ضمت مزيجاً من الشعوب انصهرت فيما بينها وعرفت باسم (القفقاس) إلا أنها ترجع الى أصول مختلفة وشعوب متباينة ، والجماعات الحربية التي التجأت اليها وتحصنت بها وانعزلت عن غيرها احتفظت بلغتها وعاداتها وحافظت على كيانها ، فنشأت مجموعات عديدة وقبائل كثيرة لكل منها لغتها الخاصة ، وعرفت كلها بالشجاعة والإقدام والقوة وشدة البأس وتعشق الحرية وعدم الصبر على الضيم .

وجرّ موطن هذه الشعوب عليها صعاباً كثيرة فطمعت فيها الدول المجاورة التي تريد السيطرة ، وحاولت احتلالها كل الحكومات العسكرية الناشئة فغزاها الآشوريون والكلدانيون والمصريون القدماء وخضعت لنفوذ بيزنطة بعد أن انتشرت النصرانية في جنوبها في أوائل القرن الميلادي الأول ، واستولت الصين على جنوبها ، وكان دولتا الفرس والرومان كفرسي رهان على امتلاك أرمينيا وجنوبي القفقاس ، واضافة الى الغزاة فقد قامت فيها حكومات محلية فأقام (القوشحة) في وسط المرتفعات حكومة عرفت في الكتب العربية باسم حكومة (اللان) ، وأسس (الداغستان) دولة في السفوح الشرقية للجبال أسماها الفاتحون المسلمون حكومة (السرير) .

عرف العرب المسلمون بلاد القفقاس منذ عهد الخلفاء الراشدين، وقد أطلقوا على جبالها اسم « القبق » كما كانت تعرف باسم « القبج » ، و« القبجق » و« القفجاق » .

تتمتع قفقاسيا بموقع ممتاز ، حيث يقع البحر الأسود في غربها مما يضفي عليها مناخاً جيدا هو مناخ البحر الأبيض المتوسط ، فالصيف جاف ولطيف وان كان في الأودية حاراً نسبياً لكنه في المرتفعات معتدل وجيد والنسيم صحي عليل أما الشتاء فمطير ودافىء وهذا المناخ غير

معروف في روسيا والبلاد التي تسيطر عليها فأكثرها شديد البرد وهذا ما حدا بالروس الى أن يوجهوا عنايتهم الى هذه المنطقة لاستثمارها جيداً وانتاج ما يحتاجونه من منتجات البلاد المعتدلة الدفيئة والمناطق الحارة ليتسنى لهم تطبيق سياسة الاكتفاء الذاتي وعدم الاستيراد من الخارج وبالفعل استطاعوا انتاج الشاي مع أنه من زراعات المناطق الحارة ، وقد انتشرت زراعته انتشاراً جيداً كما استطاعوا زيادة انتاج الفاكهة من الأودية والسفوح الجبلية والسهول المروية مع انها من زراعة البلاد المعتدلة هذه المزروعات تنقل الى روسيا . أما الزراعة التقليدية فهي الحبوب ، ثم عرفت زراعة القطن والشمندر السكري والبطاطا والكتان كما تربى الماشية وتصطاد الأسماك وخاصة من بحر الخزر .

ومنطقة قفقاسيا غنية بالثروات المعدنية وخاصة النفط وتعدّ تلك المنطقة ثاني منطقة في العالم بعد منطقة الخليج العربي من حيث احتياطي النفط ويستخرج اليوم من (باكو) و(باطوم) و(غروزني) و(مايكوب) ويوجد النحاس في أرمينيا وكذا الرصاص والتوتياء يوجدان في شمالي القفقاس ويستخرج الملح من بحر الخزر ، وتصنع المنطقة المنسوجات الصوفية والسجاد .

والمواصلات مهمة وغايتها نقل منتجات المنطقة الى البلاد الروسية ونقل النجدات العسكرية اذا اقتضى الأمر ، وتساير السكك الحديدية السواحل ثم تتصل خطوط السواحل بعضها مع بعض في شمالي القفقاس بخط واحد ، وفي جنوبها بخطين أحدهما يساير الحدود الايرانية والتركية وآخر يمر بـ (تفليس) عاصمة جورجيا .

ويمكن أن تكون المناطق الجبلية مصايف شهيرة لجودة مناخها وحسن مناظرها ومفاتن أوديتها الجميلة وروابيها الخضر ، ولم تبذل أية مجهودات في هذا المجال .

وصول الاسلام :

وصل الإسلام الى هذه المنطقة عن طريق الفتح وعن طريق الدعاة ، فقد أغار عليها (عياض بن غَنْم) عام ١٨ هـ ، ثم فتحها (سراقة بن عمرو) اذ بعد أن استولى على (اذربيجان) تابع فتوحاتـه لنشر الإسلام وكان على مقدمة جيشه الذي سار نحو الباب (عبد الرحمن بن ربيعة) ثم على رأس الجيش الثاني الذي سار نحو الداخل (حبيب بن سَلمة) وذلك عام ٢٢ هـ في أواخر خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ثم في خلافـة عثمان بن عفان رضي الله عنه .

وقد وضعت الجزية عن الذين اشتركوا مع المسلمين في القتال بناء على طلب ملكهم (شهريزار) ، ودانت بعض القبائـل بالإسلام وأولهـا (القوموق) ، وقد انتفض السكان عدة مرات على الولاة وقاتلوهـم ، وسيَّر اليهم القادة . ولم تنته الدولة الأموية الا وقـد استقر الحكـم لها في قفقاسيا ، كما استقر للعباسيين طيلة عهـد الخلفـاء الخمسة عشر الأوائل أي حتى عام ٢٧٧ هـ ، حيث حكم (بنو ساج) قسمها الشرقي ، وبعد عام ٣٢٩ هـ تقدم اليها البيزنطيون،ثم انفصل الكرج واحتلوا مدينة (تفليس) عام ٤١٧ هـ ، وكانوا يدينون بالنصرانيـة ولم يلبث أن جـاء السلاجقة عام ٤٥٧ هـ ،واحتل (ألب أرسلان)بلاد الكرج عام ٤٦٥ هـ ، وتبعهم المغول أيام (جنكيزخان) كما استولى (تيمورلنك) على البلاد بعد ذلك ، وكان الكرج ينفصلون كلما سنحت لهم الفرصة أوكلماوجدوا ضعفاً من صاحب السيطرة الى ان نزل إلى الميدان الفرس والعثمانيـون وتتيجة لهذه التقلبات الكثيرة لم ينتشر الإسلام في هذه الرقعة من الأرض على نطاق واسع كما لم تنتشر أية ديانة أخرى ،وإنما بقي السكان علـى دينهم الذي كانوا عليه منذ البدء يخشون نقمة الحاكم الغالب ولم يعرفوا

قيمة الايمان ماداموا لم يدخلوا فيه .

بدأت روسيا تتدخل في شؤون قفقاسيا بعد توسعها وأخذت على عاتقها حماية بلاد الكرج النصارى عام ١١٩٨ هـ ثم ضمتها اليها نهائياً عام ١٢١٥ هـ بعد حروب خاضتها مع العثمانيين والداغستان بقيادة (عمر خان) والشاشان وكانت الدولة العثمانية في حالة من الضعف فتركت روسيا وشأنها في بلاد القفقاس وكذا كانت حالة الفرس مما جعل الروس يضمون اليهم جزءاً بعد آخر .

قام الشيخ شامل يتزعم سكان البلاد وقبائلها المختلفة ، ويحارب الروس ، ولكنه في النهاية أسر عام ١٢٨٠ هـ واحتلت روسيا قفقاسيا نهائياً ، وبدأت أفواج اللاجئين من تلك البلاد تفد إلى اخوانهم في تركيا والعراق وبلاد الشام ، وبدأت روسيا تطبق سياستها التقليدية تجاه المسلمين سياسة الاضطهاد وارسال الروس إلى بلادهم .

استلم الشيوعيون الحكم من القياصرة فساروا على خطتهم وان كانوا وقت الشدائد يعلنون أنهم يعطون الحرية الدينية للتقرب من الشعب ، وما إن تنتهي الأزمة حتى يعود الاضطهاد أشد مما كان . كذا قبل أن يتمكن الشيوعيون من استلام السلطة وأثناء الحرب العالمية الثانية .

لقد قتلت جماعات وأبيدت قرى كاملة وقصفت مدن بالطيران والمدفعية وشردت شعوب ونقلت أقوام بأجمعها إلى مجاهل سيبيريا ، ولاتزال البلاد تخضع لهذا النوع من الحكم القاسي والاضطهاد الفاشي.

تبلغ مساحة قفقاسيا ٣١٤٫٣٠٠ كم٢ أي بقدر مساحة بلاد الشام كافة ، ويسكنها ما يقرب من ١٥ مليوناً من السكان ، وهم مجموعة من القبائل أهمها (الجراكسة) و (الشاشان) و (القوشحة) و (الداغستان) إضافة إلى الكرج والأرمن والكرد .

١ ــ الجراكسة :

والاسم القومي لهم « الأديغة » ويعودون مــن حيث الجنس إلى المجموعة الهندية الاوروبية ويقال إنهم من أحفاد الحثيين كما يقال إنهم من سلالة المصريين القدماء ، ومعنى كلمة جركس الجندي البارع ، ويقال ان التتار قد أطلقوا عليهم هذا الاسم ومعناه قاطع الطريق،حيث يتحكمون بالممرات الجبلية بين آسيا وأوروبا كما يقال إن الفرس هم الذين أطلقوا عليهم هذا الاسم ومعناه أنه يضم أسماء القبائل الأربعة ويسميهم العرب سركس وسراكس وهم مجموعة قبائل صغيرة أهمها :


بحر آزوف
نهر الدون
نهر الفولغا
نهر كوبان
البحر الأسود
نهر ترك
تركيا
سورية
العراق
ايران

آ ـ الاباظة : وهم قسمان شمالي ويعرف بالابازين وقد اتصلوا بالقبرطاي واعتنقوا الإسلام ، وجنوبي ويعرف بالابخاز وكانت صلتهم قوية بالكرج ويدين أكثرهم بالنصرانية .

ب ـ القوشحة : أو القوصحة والاسم القومي لهم (الآيرون) اما الاسم التاريخي فهو (الاستين) ويطلق عليهم الكرج اسم (توالتا) ، ويسكنون القسم الأوسط من جبال القوقاز في مرتفعاته المنيعة وقممه الشاهقة . وكما يعدون أحياناً من غير الجراكسة إذ أنهم مجموعة خاصة، لهم لغتهم الخاصة وعاداتهم المتميزة .

جـ ـ الابزاخ : وهم يقطنون سفوح الجبال الشمالية وهم من المسلمين.

د ـ القبرطاي : ويقيمون شمال (القوشحة) ويتمسكون بدينهم ويشتهرون بتربية الخيل .

هـ ـ بزادوغ : ويقيمون شمالي البلاد الجركسية، وينتشرون حتى مصب نهر كوبان .

و ـ شابسيغ : ويعيشون شرق قبائل (البزادوغ) .

ز ـ حاتوقواي : وتقيم بالقرب من البزادوغ .

وهناك قبائل صغيرة اخرى من الجراكسة .

ويبلغ عدد الجراكسة ما يزيد على المليونين ونصف المليون .

٢ ـ الداغستان :

ويقيم الداغستان شرق الجراكسة ويشرفون على بحر قزوين وينتشرون من نهر (ترك) شمالاً حتى حدود أذربيجان جنوباً ، وتشمل بلادهم الجزء الشمالي من بلاد (شروان) ، ويتحكم الداغستانيون بممر قفقاسيا الشرقي وهو (باب الأبواب) الذي يسمى اليوم (دربنت) أو

أن كلمة (دربنت) وهي فارسية تعني باب الأبواب ، ومن هذه القبائل :

آ ـ الداغستان : وهم سكان الجبال ، وهذا مايعنيه هذا الاسم باللغة التركية •

ب ـ الشاشان : وتقيم هذه القبائل شمال غربي الداغستان ، وإن كانوا يعدون مجموعة خاصة لهم لغتهم وعاداتهم ، وهناك (الانغوش) وهم جزء من الشاشان او كلاهما فرع من أرومة واحدة •

جـ ـ القوموق : وهم أول من اعتنق الإسلام ، ويقيمون في شمال الداغستانيين ، وتأسست في بلادهم إمارة طارقي الشامية وكانت عاصمتها مدينة (طارقي) وتسمى اليوم (بتروفسك) •

د ـ الآندي : وهم مجموعة من القبائل ويعرفون بـ (اللزكي) وان كانت كلمة (لزكي) كثيراً ما تدل على الداغستان جميعاً ، ولقد أسس (الآندي) حكومة خاصة لهم في منتصف القرن الثالث عشر الهجري خضعت للأمير شامل •

ويبلغ عدد القبائل الداغستانية أكثر من مليونين ونصف المليون •

٣ ـ الآجار : وهي قبائل تسكن المنطقة القريبة من حدود تركيا ، ويزيد عدد أفرادها على ٤٠٠ ألف نسمة •

٤ ـ الكرج : ومنطقتهم جورجيا ، ويزيد عددهم على المليونين •

٥ ـ الكرد : ويقيم معظمهم في أذربيجان ويصل عددهم إلى ١٥٠ ألف نسمة •

٦ ـ التتار : وتقيم القبائل التتارية في أذربيجان وشمالي بلاد الداغستان ، ويزيد عددهم على مليونين ونصف •

٧ ـ الارمن : وعددهم مليون ونصف المليون في أرمينيا •

٨ ـ ترك : ويزيد عددهم على ١٥٠ ألف ساكن •

٩ ــ يهود : وعددهم ٧٠ ألفاً .

١٠ ــ المان : وعددهم ٦٠ الفاً .

كما يعيش في المنطقة نصف مليون من أجناس أخرى ، أما الروس فقد وصل عددهم إلى أربعة ملايين اذ أصبحت نسبتهم ٢٥ في المائة من السكان جاؤوا إلى المنطقة مستعمرين وأنصاراً للحكم ومراقبين للسكان، ومبشرين بالشيوعية .

ولكل مجموعة من هذه المجموعات لغتها الخاصة ، ولكنها تقريباً من أصل يختلف عن اللغة التركية عدا الأتراك والتتار وبعض القبائل الصغيرة مثل (القرتشاي) الذين يشتركون في جمهورية (قارتشاي الشركسية) و (البلكار) الذين يشتركون مع القبرطاي في جمهورية (قابرديا بلكاريا) .

أما من حيث الأديان فيمكن ملاحظة الجدول التالي لنأخذ صورة عنها .

المجموع	عدد السكان	عدد المسلمين	نسبة المسلمين	ملاحظات
الجراكسة	١ر٢٥١ر٠٠٠	١ر٢٥١ر٠٠٠	١٠٠ في المائة	بجميع القبائل عدا الاباظة والقوشحة
الاباظة	٠ر٤٨٩ر٠٠٠	٠ر١٦١ر١٥٠	١٠٠ في المائة	من الجراكسة
القوشحة	٠ر٦٦٠ر٦٠٠	٠ر١٦٥ر١٥٠	١٠٠ في المائة	من الجراكسة
الداغستان	٢ر٥٠٠ر٠٠٠	٢ر٥٠٠ر٠٠٠	١٠٠ في المائة	بجميع قبائلهم
الآجار	٠ر٤٠٠ر٠٠٠	٠ر٤٠٠ر٠٠٠	١٠٠ في المائة	
الكرج	٢ر٠٠٠ر٠٠٠	٠ر٣٠٠ر٠٠٠	٣٥ في المائة	
التتار	٢ر٥٠٠ر٠٠٠	٢ر٥٠٠ر٠٠٠	٢٥ في المائة	
الكرد	٠ر١٥٠ر٠٠٠	٠ر١٥٠ر٠٠٠	١٥ في المائة	
الأرمن	١ر٥٠٠ر٠٠٠	٠ر١٥٥ر٠٠٠	١٠ر٣ في المائة	
اليهود	٠ر٠٧٠ر٠٠٠	—	—	
الالمان	٠ر٠٦٠ر٠٠٠	—	—	
بقية الاجناس	٠ر٥٠٠ر٠٠٠	٠ر٥٠ ر٠٠٠	١٠ في المائة	
المجموع	١٢ر٣٣٠ر٦٠٠	٧ر٨٧٧ر٣٠٠	٦٠ في المائة	

أما الروس فلا يمكن تعدادهم مع السكان لأنهم غرباء مستعمرون وبهذا تكون المنطقة إسلامية وتقسم المنطقة إلى عدد من الاجزاء تختلف في نوع الحكم فهناك .

١ ــ ثلاث جمهوريات اتحادية وهي :

آ ــ اذربيجان .

ب ــ جورجيا .

جـ ــ أرمينيا .

٢ ــ سبع جمهوريات ذات حكم ذاتي هي :

آ ــ داغستان . وتتبع روسيا .

ب ــ شاشان انغوشيا وتتبع روسيا .

جـ ــ قابرديا ــ بلكاريا ، وتتبع روسيا .

د ــ اوستينا الشمالية ، وتتبع روسيا .

هـ ــ أبخازيا وتتبع جورجيا .

و ــ آجاريا وتتبع جورجيا .

ز ــ ناختيشفيان وتتبع أذربيجان .

٣ ــ أربع مناطق ذات حكم ذاتي هي :

آ ــ الاديغة وتتبع روسيا .

ب ــ قارتشاي الشركسية وتتبع روسيا .

جـ ــ اوستينا الجنوبية وتتبع جورجيا .

د ــ قره باخ وتتبع أذربيجان ، وتقع في وسطها .

هذا التقسيم غريب فعلى الرغم من صغر المنطقة فهي مقسمة إلى أربعة عشر قسماً وذلك من أجل امكانية السيطرة كما أن معظمها يتبع موسكو مباشرة ، وتتداخل هذه الاقسام مع بعضها بعضاً ، والمناطق الجبلية التي يمكن أن تكون مركزاً للتمرد أكثر الاجزاء عدداً وصغراً .

أذربيجــــان

تشمل أذربيجان الجزء الشرقي مــن جمهوريات ماوراء القوقــاز (الترانسقوقاز) ، وتحيط بها الجبال من جميع الجهات فلا تنفتح إلا من جهة الشرق حيث بحر الخزر ، وهذه الجبال هي القفقاس من الشمال ، وأرمينيا من الغرب ، وجبال اذربيجان الايرانية من الجنوب ، وأمطــار السهول قليلة لانحصارها بين المرتفعات التي تجري مياهها منحــدرة من المرتفعات الى السهول وخاصة في الربيع نتيجة ذوبان الثلوج ، وأشهر هذه الانهار نهر (كورا) الذي يفيض في الربيع ،وقد أقيم عليه سد على خانق يعترض مجراه ينظم جريان النهر في منطقة السهول الفسيحة التي تلي الخانق وتكون نتيجة لذلك خزاناً كبيراً وسط البلاد تصرف مياهه بحساب في قنوات عديدة تروي المناطق الجافة التي أصبحت معدةلزراعة القمح والقطن ، إضافة الى التبغ والأرز •

ولما كانت جبال القوقاز تحمي المنطقة من الرياح الشمالية الباردة فان ذلك ساعد على زراعة التفاح والتوت والجوز والعنب والأجاص كما أن سهول (تاليش) الجنوبية قد أصلحت أراضيها ،وقامت مزارع الشاي والحمضيات والتين والرمان ، وأمكن زراعة المطاط المكسيكي •

وأذربيجان غنية بمصادر الطاقة والثروة المعدنيــة ، وأهم هــذه المصادر النفط الذي يوجد في شبه جزيرة (ابشيرون) بالقرب من مدينة (باكو) ويوزع النفط الخام الى (استراخان) و (باطوم) ، وتعدّ هذه المنطقة أهم مكان للنفط في الامبراطورية الروسية إذ بفضلها حافظــت الامبراطورية على الاكتفاء الذاتي إذ بلغ الانتاج في منطقة (باكو) عام

١٣٥٧ هـ ٢١ مليون طن ، ويمثل هذا الانتاج ٧٥ في المائة من الانتاج في الامبراطورية الكلي ، واستمر الانتاج على هذه الكمية إذ بلغ عام١٣٧٥هـ ٢٢ مليون طن ولكن لايمثل سوى ١١ في المائة ولاتزيد النسبة اليوم على ١٠ في المائة ، ثم هناك الغاز الطبيعي وتنتج ١٢ ملياراً من الامتار المكعبة في العـام .

وبعد النفط تأتي أهمية (البوكسيت) إذ تعد اذربيجان المنتـج الثاني في العالم بعد الصين ، كما تحوي أرض اذربيجان على الحـديد والنحاس والكوبالت والرصاص.

وتربى الحيوانات وأهمها : الاغنام ٠٠٠ر٠٠٠ر٥ رأس
الابقار ٠٠٠ر٥٠٠ر١ رأس

وفيها الحصان ذو السنام .

ويلعب صيد السمك دوراً مهما في اقتصاديات أذربيجان ، ومعظمه يأتي من بحر قزوين عند مصب نهر (كورا) كما توجـد بعض الأشجار الكثيفة ذات الاخشاب الصلبة في اقليم (تاليش) في الجنوب .

وأهم مواد الثروة الزراعية هي :

القمـح	٠٠٠ر٥٠٠	طن
القطـن	٠٠٠ر٢٧٧	طن
البطاطا	٠٠٠ر١٣٠	طن
الشاي	٥٠٠ر٠٠٦	طن

تبلغ طول السكة الحديدية ١٧٠٠ كم وهي ثلاثة خطوط :

١ ــ من باكـو ويتجه نحـو الغرب باتجاه (تفليس) عاصمـة جورجيـا .

٢ ــ من باكو نحـو الشمال موازيا لساحل بحر الخزر تجـاه داغستان .

٣ ــ من باكو نحو الجنوب ، ويوازي حدود ايران وتركيا •
ويصلح نهر (كورا) للملاحة في مجراه الاسفل للسفن الصغيرة •
وأذربيجان بلاد سياحية لمناظرها الخلابة كما فيها عدد من الينابيع المعدنيـة •

تبلـغ مساحة اذربيجان ٨٧٫٠٠٠كم[٢] ، ويبلـغ عدد سكانهـا ٥٫٢٢٠٫٠٠٠ نسمة ، ويتألفون من العناصر التالية :

الاذربيجانيون ويشكلون	٦٧٫٥	في المائة
الأرمن	١٢	في المائة
الكرج	٢٫٧•	في المائة
الروس	١٤	في المائة
تاليش	٣	في المائة
	١٠٠	

وتعيش الاقليات في المدن ، بينما ينتشر الأذربيجانيون فـي السهول ، ويتركز الروس حول (باكو) في مناطق النفط وقـد دخلوا مستعمرين •

يتكلم الاذربيجانيون اللغة التركية ، وان كانت قد فرضت عليهم اللغـة الروسية الآن •

تبلغ نسبة المسلمين ٧٨ في المائة من السكان ، وهم الاذربيجانيون والتاليش ، أما الارمن والكـرج فيعتنقون النصرانيـة ، أمـا الروس فدخـلاء •

خضعت (باكو)للسيطرة الروسيةعام ١٢٢١ هـ ،وبدأ الاضطهاد الواسع للمسلمين ، وجلب الروس الى بلادهم أعداداً من أبناء جلدتهم ، وعندما قامت الثورة الشيوعية دخلت قوات الجيش الاحمر المنطقـة ، وابتدأت المجزرة الرهيبة ، واغتيل الزعمـاء المسلمون ، وقامت فيها الجمهوريـة

الاذربيجانية السوفييتية الاشتراكية عام ١٣٣٩ هـ وبعد عامين أي عام ١٣٤١ هـ كانت جزءاً من إقليم ما وراء القوقاز ، ثم أصبحت جمهورية اتحادية عام ١٣٥٥ هـ وعاصمتها مدينة (باكو) التي فيها مركز المجلس الاسلامي لمناطق عبر القفقاس للنظر في القضايا الدينية للمسلمين في اذربيجان و أرمينيا و جورجيا ، وهو شكلي تماماً ، وتعد مدينة (باكو) خامس مدينة في الامبراطورية الروسية بعدد السكان حيث يسكنها ٠٠٠و١٠٠و١ نسمة ، وفيها جامعة كبرى .

ويتبع جمهورية اذربيجان الاتحادية جمهورية (ناختيشيفيان)ذات الحكم الذاتي ومقاطعة (قره باخ) ذات الحكم الذاتي أيضاً .

جمهورية ناختيشيفيان

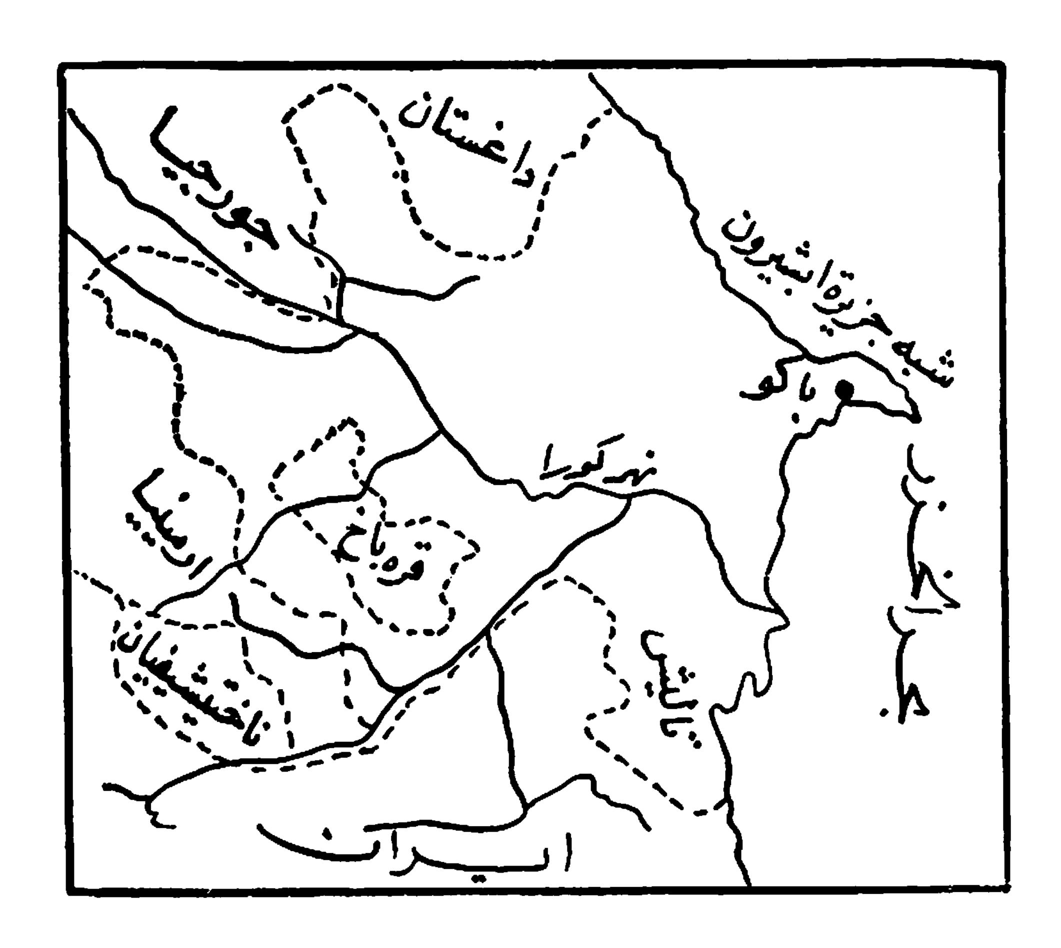
تبلغ مساحتها ٠٠٠و٥ كم² أي قدر مساحة لواء اسكندرون في سورية أو نصف مساحة لبنان ويقدر عدد سكانها بـ ٠٠٠و١٧٠ نسمة وعاصمتها مدينة (ناختيشيفيان) وتقع هذه الجمهورية على حدود تركيا وإيران ، وتكوّن جزءاً من جمهورية أذربيجان على الرغم من أن جمهورية أرمينيا تفصل بينهما ومعظم سكانها من الاذربيجانيين ويعيش ٧٠ في المائة من السكان على الزراعة وخاصة القطن والتبغ ثم العنب والفاكهة .

دخلها الروس عام ١٢٤٤ هـ وأصبحت جمهورية تتبع جمهورية أذربيجان عام ١٣٤٣ هـ .

مقاطعة قره باخ

وتبلغ مساحتها ٤٠٠ر٤ كم² ويسكنها الاذربيجانيون والأرمن ، وعددهم ٠٠٠ر١٥٠ نسمة ، وعاصمتها مدينة (ستيباناكيرت) ، وهي

وسط أذيبجان وتزرع القطن والقمح والعنب ، واستولى الروس على المنطقة عام ١٢٤٤ ، وأصبحت مقاطعة تتبع أذربيجان عام ١٣٣٢ هـ .



أرمينيا

تقع أرمينيا على حدود تركيا وإيران ، تبلغ مساحتها ٣٠٫٠٠٠ كم²
أي ثلاثة أمثال مساحة لبنان ، ويبلغ عدد سكانها مليوني نسمة ، فيهم
عدد من المسلمين لاتزيد نسبتهم على ١٢ في المائة من عدد السكان الكلي،
ويقدر عددهم ب ٣٤٠٫٠٠٠ مسلم ، وعاصمتها مدينة (أريفان) ، وأهم
ثروتها المعدنية النحاس .

وتنحدر أكثر مياهها نحو نهر (أراكس) الذي يشكل الحدود بينها
من جهة وبين تركيا و إيران من جهة ثانية ، وهي جمهورية اتحادية .

جورجيـــا

تشغل جورجيا مساحة قدرها ٧٠٫٠٠٠ كم٢ وتشمل السفوح الغربية لجبال القوقاز، فيضفي عليها ذلك الموقع اعتدالا في المناخ، إذ تقع ضمن مناخ البحر الأبيض المتوسط ، كما أن الجبال العالية تحول دون وصول الرياح الشمالية الباردة إليها، وأن ارتفاعها عن سطح البحر يجعلها مصيفاً جميلاً مليئاً بالمناظر الخلابة، فالجبال مكسوة بالأشجار، والأودية مزروعة بمختلف الانواع بحيث لاترى إلا الخضرة والمناظر الخلابة ، والسماء الصافيـة والجداول الرقراقة ، والمنطقة هادئة والطبيعة ساكنة ولا يبدد سكونها إلا اصوات الطيور أو خرير الماء أو حفيف الشجر كما أن تعرضها لاشعـة الشمس يجعلها ذات أهمية من حيث بناء دور النقاهة وقضاء فصل الشتاء البارد في روسيا ولذلك أقيمت علـى سفوحها أكثـر دور النقاهـة في الامبراطورية الروسية ، وأشهر ماشيد منها ماهو في مدينة « سخالتوبو » وأمطارها الشتوية غزيرة ، لذلك كانت الانهار كثيرة ، وشديدة الانحدار، مما يجعلها عميقة ، والانهار إما أن تنساب نحـو نهر (كورا) في القسم الشرقي أو نحو البحر الاسود عن طريق نهر (ريوني) الذي يصب عند مدينة (بوتي) .

ومناخ جورجيا يلائم زراعة الحبوب وخاصة الذرة ، كمـا تزرع المنطقة العنب والحمضيات والشوندر السكري وهذه المزروعات تجدها في أكثر أرجاء البلاد وتنتشر زراعة شجرة التوت لتربى عليها دودة الحرير، وقد بدأت جورجيا بانتاج الشاي الذي يزرع علـى السفوح الجبلية ، وتنتج ٩٧ في المائة من الشاي في الامبراطوريـة الروسية ، ويقدر هـذا الانتاج ١٥٧٫٠٠٠ طن ، كما تزرع التبغ وهـو من الاصناف الجديـدة والانواع المشهورة .

وتنتشر المراعي الواسعة ،فتربى عليها قطعان الاغنام،وتأتي جورجيا في طليعة الدول المنتجة للمنغنيز وتحوي أراضيها أيضاً التوتياء والفحم والتنغستين ، وأهم صناعتها الحديد وعربات السكك الحديديةوالادوات الكهربائية والاسمنت وحلج القطن ، وعرفت صناعة السجاد فيها من القديم •

يسكن جورجيا اليوم ٤٫٥٠٠٫٠٠٠ نسمة وتبلغ نسبة المسلمين فيها ١٩ في المائة تقريباً أي مايقرب من ٨٣٥٫٠٠٠ نسمة •

أخذت روسيا على عاتقها حماية جورجيا عام ١١٩٨ هـ ثم اضطرت للخروج نتيجة حرب الداغستان ، ولكنهاعادت ثانيةإليها وهزم الداغستان بقيادة (عمر خان) ، وضمت روسيا جورجيا إليها نهائياً عام ١٢١٥ هـ • وجمهورية جورجيا جمهورية اتحادية عاصمتها مدينة (تفليس) التي تقع على نهر كورا ، وتتبعها جمهورية (ابخازيا) وجمهورية (آجاريا) ، ومقاطعة (اوستينا الجنوبية) •

ابخازيا

جمهورية ذات حكم ذاتي ، وتتبع جورجيا ، وتقع في شمالها الغربي على ساحل البحر الاسود عاصمتها مدينة (سوخوم) و (الابخاز) من العناصر الشركسية انفصلوا عنها بجبال القوقاز ، وأكثرهم من النصارى، وعندما صدر المرسوم بالتسامح الديني عام ١٣٢٣ هـ دخل عدد منهم بالاسلام •

تبلغ مساحة ابخازيا ٨٫٦٠٠ كم^{2} أي أصغر من مساحة لبنان ، ويسكنها نصف مليون نسمة وقد قضت روسيا على حكومة (ايمارتي) التي كانت قائمة في المنطقة عام ١٢٢٥ هـ ، وتأسست منها جمهورية ذات استقلال ذاتي عام ١٣٤٩ هـ ، وارتبطت بجمهورية جورجيا الاتحادية •

آجاريا

وتقع على ساحل البحر الاسود أيضاً بين جورجيا وتركيا عاصمتها مدينة (باطوم) التي تعد المرفأ الأول في جورجيا وعن طريقها تتصل بالخارج وتصل إليها أنابيب النفط من مدينة (باكو) في أذربيجان ، وتبلغ مساحتها ٣٫٠٠٠ كم٢ ، ويسكنها ٤٠٠ الف نسمة .

ضمت روسيا إليها حكومة (غوريا) التي كانت قائمة في مدينة (باطوم) نتيجة مؤتمر برلين عام ١٢٩٥ هـ ، واعترفت بذلك الدولة العثمانية ، وتأسست للآجار جمهورية عام ١٣٤٠ هـ ، والمنطقة سهلية ، أنهارها قصيرة تتجه نحو البحر الاسود وأطولها الذي يصب جنوب مدينة (باطوم) .

أوستينا الجنوبية

مقاطعة ذات حكم ذاتي ، تبلغ مساحتها ٣٫٩٠٠ كم٢ ، ويقيم عليها ١٢٥ ألف نسمة ، وقد ضمت إلى روسيا نتيجة مؤتمر برلين عام ١٢٩٥ هـ ، وتأسست المقاطعة ١٣٤١ هـ .

تتبع هذه المقاطعة جورجيا بينما (اوستينا الشمالية) تتبع روسيا مباشرة وهي جمهورية ذات حكم ذاتي . والاسم القومي للاوستين هو (الآيرون) ، والشراكسية يسمونهم (قوشحة) ، بينما الكرج يطلقون عليهم اسم (توالتا) .

دَاغِسْتَان

وهي جمهورية ذات حكم ذاتي تتبع جمهورية روسيا ، وداغستان تعني بلاد الجبال باللغة التركية ، تبلغ مساحتها ٥٠٫٣٠٠ كم٢ ، ويسكنها مليون ونصف نسمة ، وتقع بين جبال القوقاز وبحر الخزر ، وتشكل الجبال ثلاثة أرباع أراضيها ، وتنحدر الانهار من الجبال نحو البحر ، ولا تجري مسافة طويلة حتى تصبّ في البحر ، لذا كانت شديدة الانحدار ، وأطول نهر فيها نهر (ترك) الذي ترفده أنهار كثيرة ، ويمر في « غروزني» مركز بلاد الشاشان ، ثم نهر (صولاق) الذي يصب شمالي مدينة (محج قلعة) عاصمة الجمهورية ، وتصبح الأنهار أكثر قصراً في الجزء الجنوبي من البلاد حيث تقترب الجبال أكثر من البحر •

والبلاد ذات مناظر جميلة في جبالها التي تشرف على البحر ، وفي أوديتها السحيقة التي تدل على الرهبة بسبب شدة انحدار المياه الجارية ، ولاتترك الجبال بينها وبين البحر إلا سهلاً ضيقاً ، يتسع بالاتجاه شمالاً ، ويعرض بدءاً من مدينة (محج قلعة) ، ولكنه ينفتح عند مصب نهر (صولاق) ، وتصبح البلاد كلها سهلية ابتداء من مصب نهر ترك •

تزرع داغستان القمح والذرة والبطاطا والخضروات والعنب وتربي الحيوانات وأهمها الأغنام• ويشكل النفط اليوم ثروة كبيرة ، ويستخرج من مكامن تحت المياه في بحر الخزر على بعد ١٠ كم من الشاطىء ، كما يوجد الغاز الطبيعي •

تصنع الزجاج والسجاد وخاصة في مدينة (دربنت) أو كما يسميها العرب المسلمون (باب الأبواب) ، وتوجد أحواض لاصلاح السفن ومعامل لتعبئة الأسماك واللحوم ، وتوجد محطتان كبيرتان لتوليد الكهرباء •

وسكان البلاد كلهم من المسلمين على اختلاف قبائلهم من (قوموق) و (آندي) و (داغستان) ولا يوجد من النصارى سوى المستعمرين الروس ، وقد اعتنق السكان الاسلام منذ عصر صدر الاسلام ، وحافظوا على عقيدتهم وهم الذين تزعموا البلاد للقتال ، وعندماأسر زعيمهم الشيخ شامل عام ١٢٨٠ هـ دخلت روسيا البلاد ، فهاجر السكان منها ، وفروا بدينهم ، كما أن الضغط الشديد قد أجبر آخرين على الهجرة ، وأجبر السكان على القيام بثورات أشهرها ثورة عام ١٣٢٣ هـ .

أعلنت روسيا عن قيام جمهورية (داغستان) عام ١٣٤٠ هـ،وجعلتها مرتبطة بها أي تتبع موسكو مباشرة .

شَاشَان أنغوشيَا

وهي جمهورية ذات استقلال ذاتي ، تقع في السفوح الشمانيةلجبال القوقاز ، فتتدفق اليها المياه صخابة جرافة من الجبال ، وتشكل انهاراً كثيرة تلتقي كلها بنهر (ترك) الذي يعد أهم انهار قفقاسيا ، وتنقلب المنطقة الى جنات وارفة ملأى بالمزروعات كثيفة بالأشجار ، ومع هذا لا تعد بلاد الشاشان ذات شهرة واسعة بالزراعة اذا ما قيست بجانب الكميات النفطية المنبعثة من أراضيها والمنبثقة من حقول (غروزني) عاصمة الجمهورية .

لقد دخل الاسلام الى الشاشان والانغوش منذ مدة قصيرة لاتزيد على القرنين للدعوة التي اخترقت حواجز الروس التي أقاموها امام الإسلام ، وتمسك السكان بدينهم تمسكاً قوياً أزعج الروس مما جعلهم ينفون السكان جميعاً من مواطنهم ويطردونهم الى مجاهل سيبيريا ، ولكن ذلك لم يفت في عضد المسلمين ، واضطرت روسيا الى إعادة هذه الجمهورية عام ١٣٧٧ هـ ، ولكن جعلتها مرتبطة بها مباشرة .

تبلغ مساحتها ١٩٫٣٠٠ كم٢ ، ويقيم على أراضيها ١٫١٠٠٫٠٠٠ ، وكان الروس قد احتلوها عام ١٢٦٧ هـ ، ومنذ ذلك العام دخلتها أفواج من المستعمرين الروس ، واستقروا فيها .

أوسّتيـنيا الشّماليّـة

الاوستين من العناصر الشركسية ، ويقطنون اعلى المرتفعات في جبل القوقاز ، وقد دان القسم الشمالي منهم بالإسلام بينما اعتنق جزء من القسم الجنوبي النصرانية ، ففصل الروس بين القسمين حتى لا يتأثر الجنوب بالشمال ، وكان الجنوب مقاطعة تتبع جورجيا بينما كان الشمال جمهورية ترتبط بروسيا ، ونتيجة موقع بلادهم فهم أشداء ، وجنود بالفطرة ، وبسبب فقر بلادهم فقد انخرطوا في صفوف الجيش الروسي بخلاف جيرانهم الذي يكرهون الخدمة في ذلك الجيش ، ومن اوستينا الشمالية تنبع أكثر روافد نهر (ترك) .

تبلغ مساحة هذه الجمهورية ٨٫٠٠٠ كم٢ ، ويبلغ تعداد سكانها ٦٠٠٫٠٠٠ نسمة ، وعاصمتها مدينة « اردجونيكيرزي » . وقد احتل الروس هذه المنطقة عام ١١٩٩ هـ ، وأسس الشيوعيون لهم جمهورية عام ١٣٥٥ هـ .

قابرديا - بلكاريا

يطلق على السكان اسم (قبرطاي) وهم من العناصر الشركسية ويسكنون غرب (القوشحة) في المناطق المرتفعة من جبال القوقاز ويشتهرون بتربية الخيل ، ويعتنقون الإسلام جميعاً ومع ذلك فهم أصحاب عصبية ، ويحافظون على عاداتهم وتقاليدهم ومن الصعب تغيير تلك العادات ، وقد جرت محاولة على يد المصلح (إسلام بك) ولكنه عجز ، ومن جمهورية قابرديا تنبع بعض روافد نهر (ترك) ، وتبلغ مساحة هذه الجمهورية ١٢٫٥٠٠ كم^2 ويسكنها ٦٢٥ ألف نسمة ، وأنشئت هذه الجمهورية عام ١٣٥٥ هـ ، وعاصمتها مدينة (نلتشيك) .

ويختلف (القابرد) عن (البلكار) حيث يتكلم الآخيرون لغة من أصل تركي بينما يتكلم الأوائل لغة خاصة لا تمت بصلة الى التركية .

كراتشاي - الشركسية

وهـــي مقاطعة ذات حكم ذاتي ، تبلغ مساحتهـا ١٠٠ر١٤ كم٢ ، ويسكنها ما يقرب من ٤٠٠ ألف نسمة ، وتتبع إقليم (ستافربول) وعلى الرغم من أنها تحمل اسماً شركسياً إلا أن سكانها ليسوا من العناصر الشركسية وإنما هم من التتار ، وتدل على ذلك صفاتهم ، كما أنهم يتكلمون لغـة خاصة بهم أقرب الى اللغة التركية ، تؤكد ذلك الاصل ، وجميع السكان يدينون بالإسلام وعاصمتهم « شركسك » وهم يجاورون الابخاز مـن الجنوب والحدود بينهما هي ذرا القوقاز ، وخط توزيع المياه حيث تنحدر المياه في الجنوب نحو أنهار (ابخازيا) بينما تنحدر في الشمال نحو نهر (كوبان) وروافده • أما حدودها مع (الأديغة) و (والقبرطـاي) فهي تساير خط انتشار المجموعات البشرية ، وأما من ناحية الشمال فصلتها باقليم (ستافروبول) •

خضعت هـذه البلاد للروس اثر مؤتمـر برلين عـام ١٢٩٥ هـ ، وتأسست هذه المقاطعة عام ١٣٧٧ هـ •

الأديغـــة

وهي مقاطعة ذات حكم ذاتي ، وتتبع اقليم « كراسنودار » ويعرف باسم عاصمته (كراسنودار) التي تقع على الجهة اليمنى من نهر كوبـــان الادنى ، وتشرف هذه البلاد على البحر الاسود من ناحية الغرب ،وتجري فيها مياه نهر (كوبان) وروافـــده ، وتميل الأراضي بشكل عام نحـــو الشمال الغربي .

يتألف سكان هـــذه المقاطعـــة مـــن عدة قبائل أشهرهـــا الابزاخ ر (البزادوغ) و (الشابسيغ) و (الحاتوقواي) وجميعهـــا تـــدين بالاسلام وعاصمتها مدينة (مايكوب) الشهيرة في صناعتها وثروتهـــا النفطية ومن أهم مرافئها مدينة (سوفي) ومدينة (أنابا) .

تبلغ مساحة هذه المقاطعة ٧٫٦٠٠ كم٢ ويسكنها ٤٠٠ ألف نسمة ، وقد سيطر عليها الروس بعـــد عام ١٢٩٥ هـ ، وتأسست مقاطعتهم عـــام ١٣٤١ هـ .

الباب الثالث

المسلمون في البلقان

مقدمة :

يتوزع المسلمون في جنوب شرقي أوروبا في شبه جزيرة البلقان في عدة دول ، وان كان انتشارهم قد تم في وقت واحد تقريباً في تلك البقعة من الأرض إلا أنه ترسخ في بعض الجهـات ، وأقفرت جهات ثانية منهم لأسباب كثيرة •

واذا كان الإسلام قد انتشر في مناطق كثيرة من أوروبا الجنوبيـة سواء في جنوبي فرنسا أم ايطالية ، وتوغل المسلمون في مناطق داخلية حتى وصلوا الى بلاد سويسرا ، وكانوا قـد احتلوا جزر البحر الابيض المتوسط جميعها إلا أن الإسلام في شبه جزيرة البلقان قد تأخر في التقدم فيها وذلك لأن الطرق المؤدية الى هذه المنطقة لم تفتح فقـد استعصت القسطنطينية على الفاتحين لموقعها ومناعتها ، وان ابتدأت الغزوات تطرق أبوابها منذ عام ٥٠هـ ، إلا أنه في النصف الثاني من القرن الثامن الهجري بدأ الاسلام يتقدم في البلقان على شكل موجة واسعة بفضل العثمانيين الذين دخلوا أوروبا عن غير الطريق التي حاول الفاتحون أن يسلكوهـا من قبلهم ، لقد جهد المسلمون الأوائل أن يحتلوا القسطنطينية ثم ينطلقوا إلى أوروبا عن طريقها أي أن مشروع فتح أوروبا كان يهدف طريق مضيق

(البوسفور) فعندما صمدت المدينة في وجه الفاتحين تعذر التقدم وتوقف الانتشار ، وعندما جاء العثمانيون تجاوزوا مدينة القسطنطينية ودخلوا أوروبا عن طريق مضيق (الدردنيل) وكانت مدينة (غاليبولــي) أول مدينة في أوروبا فتحها العثمانيون عام ٧٥٨هـ ــ ١٣٥٤م ، واستولى مراد الأول على مدينة (أدرنة) عام ٧٦٣هـ ــ ١٣٥٩م ، واتخذها عاصمة له وبذلك أصبحت الدولة العثمانية أوروبية العاصمة، كما أخضع هذا السلطان منطقة (الروميللي) وفتح مدينة (صوفيا) عاصمــة البلغار ومعظــم بلادهم ، ثم تابع ابنه (بايزيد) ذلك الفتح فاستولى على الجزء الشمالي من بلغاريا والافلاق واقترب من المجر . ولقد أثار هذا الفتح أوروبــا ولكنها لم تستطع أن تقف في وجهه ، وكان التتار يتقدمون من الشرق بقيادة (تيمورلنك) فاستحثه الأوروبيون على قتال العثمانيين وكتب له ملك فرنسا رسالة أخرى يشجعه فيها على ذلك القتال وكذلك الأمــراء الذين لجأوا اليه وبعض الجنود الذين فروا اليه من الامارات التي احتلها العثمانيون في آسيا الوسطى ، والتي كانت متناثرة في تلك الارض، وقامت الحرب بين الطرفين ، وهزم العمثانيون ، ووقع سلطانهم (بايزيد) وابنه (موسى) أسيرين بيد تيمورلنك عام ٨٠٤ هـ ــ ١٤٠٢ م كما قتل ابنه الآخر (مصطفى) في المعركة ، وعادت (بلغاريا) و (صربيا) و (الأفلاق) و (المورة) خارجة عن سيادة العثمانيــين ونشبت فتنة بين العثمانيــين استمرت عشر سنــوات تنازع فيها أبناء (بايزيد) علــى الحكم حتــى استطاع أصغرهم وهو محمد أن يتفرد بالحكم وقد استطاع ان يعيد بناء الدولة ويهادن امبراطور القسطنطينية .

ثم تولى أمر العثمانيين (مراد الثاني) الذي فتح (سالونيك) و (ألبانيا) عام ٨٣٣ هـ ــ ١٤٣٠ م ، وجاء (محمد الثاني) الذي كتب له فتح مدينة القسطنطينية ثم فتح (صربيا) و (البوسنة) و (والهرسك)

و (أثينا) و (المورة) وبعض الجزر اليونانية ، وجعل الأوربيون حروبهم بعد فتح القسطنطينية ضد المسلمين كافة وأثاروها حرباً صليبية عامة بعد أن كانت ضد العثمانيين خاصة •

دخل العثمانيون البلقان ووجدوا أمامهم بعض المسلمين الذين انقطعوا عن الاسلام منذ مدة طويلة تزيد على خمسة قرون هؤلاء المسلمون هم (البشانقة) الذين هم شعب تركي قطنوا منطقة (الفولغا) ووصلوا الى (ترانسلفانيا) جنوب شرق (المجر) ، وقد أسلم جزء منهم في موطنهم الأصلي في (الفولغا) وانفصلت جماعة منهم وسكنت (المجر) ، وكذلك قبائل (الكومان) الذين حلوا محل (البشانقة) في (ترانسلفانيا) وكان جزء منهم يعتنق الاسلام ، وقد كان (البشانقة) و (الكومان) على صلة بطائفة (البوجوميل) التي تعيش في ألبانيا وبعض مرتفعات الألب الدينارية في المنطقة التي تسمى اليوم (البوسنة) •

و (البوجوميل) طائفة نصرانية خاصة عاشت في المرتفعات ، واحتفظت ببعض العقائد الخاصة بها والتي تمت بصلة الى النصرانية الأولى ، وقد كانت هذه الطائفة موضع اضطهاد من قبل النصارى الآخرين سواء الكاثوليك منهم أم الأرثوذكس وبسبب هذا الاضطهاد وهذه الصلة بالأصول النصرانية فقد اعتنقت هذه الطائفة الاسلام وأقبلت عليه •

واتجه العثمانيون أيام السلطان سليم الأول الى الشرق فدخلوا دولة الصفويين ، وضموا اليهم بعض البلاد العربية ، وبلغت دولتهم أوج قوتها أيام السلطان سليمان القانوني الذي حارب في أوروبا ، وفتح كثيراً من المناطق حتى وصل الى (فيينا) وحاصرها وفي الوقت نفسه كانت جيوشه في الشرق تضم للدولة أجزاء واسعة من البلاد الإسلامية •

وإذا كان العثمانيون قد أعادوا حصار (فيينا) ثانية أيام السلطان محمد الرابع عام ١٠٩٥ هـ ـ ١٦٨٣ م إلا أن موقفهم كان ضعيفاً في

أوروبا ، إذ لم يلبثوا أن بدأوا بالانسحاب منها منطقة بعد أخرى حتى لم يبق لهم في النصف الثاني من القرن الرابع عشر سوى رقعة بسيطة تشمل (ادرنة) وما حولها وتعرف باسـم (تراقيا) ولا تزيد مساحتها على ٣٤ ألف كيلو متر مربع •

لقد كان العثمانيون قوماً أشداء في بداية أمرهم لا تزال تغلب عليهم الطبيعة البدوية التي لم تؤثر فيها رفاهية المدينـة التي تجعل أصحـابها يخلدون الى الراحة والهدوء وهذا ماجعل الروح العسكرية قوية عندهم• وكانت صفة الجهل لم تزل تلازمهم لقرب نشأتهم من بيئتها ، وثقافتهـم الدينية ضعيفة واذا استطاع العثمانيون في هذه المدة أن يقوموا بفتوحاتهم الواسعة إلا أنهم لم يلتفتوا فيها الى الدعوة الى الإسلام مماجعل انتشاره ضعيفاً اضافة الى القتال المستمر وعدم اخضاعهم منطقة بشكل دائم بل كانت الرقعة الواحدة بين أخذ ورد تبعا لأوضاع الدولة الداخلية وقوة الخارجين عليها • وإن ضريبة الرأس وضريبة الأبناء وتطبيقهما وما يقع فيهما من رشوة وتحايل على القانون قد نفرّت الناس من هذا الحكم بل انه كثيراً ما اكتفى العثمانيون من الذين يدخلون في الإسلام بنطق الشهادة بل إن الحماسة الدينية العثمانية كثيراً ماجعلتهم يحتفلون بمراسم الذين يدخلون في الإسلام احتفالات واسعة وينفقون الاموال الكثيرة بسخاء في سبيل ذلك ، كل هذا قد قلل من شأن انتشار الاسلام ، وكان دخول بعض الجماعات ظاهرياً في سبيل الحصول على بعض المنافع اضافة الى التسامح الديني العثماني الذي جعل الكثيرين من النصارى يرون مـن الفائدة لهم البقاء على دينهم لا العكس • وشجع هذا التسامح الديني في مجيء عدد من أصحاب الديانات الاخـرى الى المنطقة كاليهـود الذي اضطهدوا في الاندلس بعد خروج المسلمين منها فاتجهوا الـى الدولـة العثمانية ،وخاصة مناطق البلقان،وكان لهم دور كبير في القضاء على الدولة

التي قبلتهم في أراضيها ٠

وفي أواخر عهد الدولة العثمانية ضعف أمرها ووهنت قوتها فرأت من المصلحة أن ينتشر الاسلام ليكون أهله عوناً لها فأرسلت الدعاة ولكن أثرهم كان محدوداً لضعف أمر الدولة حيث لا نقبل الناس على عقيدة جديدة ليس لأهلها قوة تجعل في أبنائها العزة والاستعلاء ٠

كل هذه الأمور جعلت حظ الإسلام قليلاً في هذه المناطق ، التي دانت لحكمه عدة قرون على خلاف كل بقاع الأرض التي خضعت للإسلام ولو لمدة قصيرة ، اذن كان انتشار الاسلام ضئيلاً سواء أيام قوة الدولة وسيطرتها أم اثناء ضعفها وتراجعها وبعد انسحاب العثمانيين بقيت مجموعات اسلامية في مناطق متعددة وتعود هذه المجموعات أما الى قبائل (البشانقة) الذين كان بعضهم يعتنق الاسلام ، أو الى (البوجوميل) الذين اعتنقوا الإسلام لأوضاعهم الخاصة ، او الى العثمانيين الذين استقروا في تلك الأرجاء واحتفظوا بطبيعة الحال بدينهم الإسلامي ، ولا شك فان جماعات هناك من أهل البلاد قد دخلوا في الاسلام لأسباب كثيرة منها الدعوة والاستفادة من الحاكم والتخلص من بعض الضرائب كما اننا لاننسى أصحاب العقول السليمة والأفكار لنيرة الذين وجدوا في الإسلام ما يتفق مع الفطرة البشرية فدانوا به واحتفظوا به بعد خروج العثمانيين ويجب ألا نغفل التسامح الذي أبداه السلاطين أمثال محمد الفاتح رحمه الله ومقارنته بالاضطهاد الذي عاشته المنطقة بين كاثوليك وارثوذكس وأكبر المجموعات الإسلامية هي في يوغسلافيا وبلغاريا والبانيا ، وعلى الرغم من كل ما قيل في اسلام السكان الاصليين ، فان نسبة ١٥ في المائة من السكان مسلمون وهي تعد نسبة ضئيلة بالنسبة الى بقية المناطق الأخرى التي دخلها المسلمون ولو لمدة قصيرة ٠

الفصل الأول

ألبانيا

ألبانيا دولة صغيرة في جنوب شرقي أوروبا،وفي شبه جزيرة البلقان، بين يوغسلافيا التي تحيط بها من الشمال والشرق واليونان التي تحدها من الجنوب والجنوب الشرقي ، بينما من جهة الغرب لها واجهة بحرية تشرف على بحر (الادرياتيك) ، ولا تزيد مساحتها على ٧٤٨ر٢٨ كيلو متر مربع ، كما لا يزيد سكانها على مليوني نسمة ، وهي أرض جبلية يزيد ارتفاع أكثر من ٧٠ بالمائة منها على ٣٠٠ م ، وتتألف من عدد من السلاسل الجبلية التي هي جزء من جبال الألب الدينارية ، وتمتد من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي على شكل سلاسل تفصل بينها الاودية ، ويكون معدل ارتفاعها ١٠٠٠ م ، ويصل ارتفاع جبل (كوريب) الى ٣٠٢١ م وهو أعلى جبل فيها ، هذه التضاريس هي التي جعلت ألبانيا موطنا لعدد من القبائل تعيش كل منها في عزلة عن الاخرى ،وأدى ذلك الى صعوبة المواصلات بين أجزاء البلاد ، وتكثر المستنقعات في الساحل مما يعوق وجود الموانىء الطبيعية ، وخاصة في اجزاء الساحل الشمالية وإن الجبال قد تصل الى الساحل مباشرة كالجزء الواقع جنوبي مدينة فلورا (فالونا) . وتقل الفتحات بين الساحل والداخل إذ أن الأنهار تجري في الأودية موازية للسلاسل الجبلية حتى تجد لها مخرجاً نحو البحر وكلها يجري من الجنوب الشرقي نحو الشمال الغربي ثم تنعطف نحو البحر وأهم هذه الانهار (درين الأسود) ، (درين الأبيض) ،

(شكومبي) ، (ديقول) ، (فيجوس) ، كما أن المياه تملأ بعض المناطق المنخفضة بين الأودية مشكلة بحيرات واسعة أهمها (شكودري) في الشمال حيث تخترق الحدود بين يوغسلافية وألبانية وكذا (أوهريد) في الشرق و (بريسبا) وتشترك فيها الدول الثلاث البانية واليونان ويوغسلافية •

ومناخ ألبانيا جزء من مناخ البحر الابيض المتوسط حار جاف في الصيف ومعتدل مطير في الشتاء، ويبقى أثر البحر على الساحل لايتجاوزه كثيراً حيث تقف المرتفعات في وجه الرياح البحرية الرطبة من أن تلج الى الداخل ، وبينما يكسو الثلج المرتفعات يندر في الأودية وتهب رياح باردة نحو البحر تعرف باسم رياح (البورا) تلي المنخفضات الجوية وتعد تتمة للرياح الشمالية الشرقية •

وتنمو على السفوح الغابة المتوسطية وتمد البلاد بثروة خشبية جيدة •

وينتمي الألبانيون الى العناصر (الاليرية) أقدم المجموعات التي سكنت جنوب شرقي أوروبا ،وتشبه بصفاتها الجسمية السلاف الجنوبيين من حيث القامة الطويلة والرأس المستدير والأنف المقوس ، والشعر الأسود ، والسكان مجموعتان :

غيجاريا : ويعرف من ينتمي اليها باسم الغج •
توسكاريا : ويسمى أتباعها التوسك •

ويفصل بين المجموعتين تقريباً مجرى نهر (شكومبي) ، وتقسم كل مجموعة الى عدد من القبائل كما توجد عناصر أخرى من الصرب والرومانيين واليونانيين والاتراك والبلغار اضافة الى عدد قليل من الغجر واليهود •

وبقي سكان الجبال منعزلين لم يختلطوا بغيرهم ، ويتم الزواج في

القبيلة عادة من خارجها ، وبينما يطلق الألبانيـون على أنفسهـم اسم (سكيتبار) يسميهم الاتراك (الارناؤوط) .

أما بالنسبة الى الدين فيتوزعون على الشكل التالي :

مسلمون	٧٣ في المائة وهم جميعاً من أهل السنة وهـم الغج والتوسك وعددهم	١٫٤٦٠٫٠٠٠
نصارى (ارثوذكس)	١٧ في المائة وعددهم	٠٫٣٤٠٫٠٠٠
نصارى كاثوليك	١٠ في المائة وعددهم	٠٫٢٠٠٫٠٠٠
المجموع	١٠٠ في المائة	٢٫٠٠٠٫٠٠٠

البانيا دولة زراعية على الرغم من أن الأرض الزراعية لا تعادل الا ١٥ بالمائة من مساحة البلاد ، ولكن ٩٠ في المائة من الأيدي العاملة تعمل في الزراعة ، ونصف المساحات المزروعة مخصصة للقمح والذرة والتبغ ونزرع من الأصناف الاخرى العنب والزيتون والرز والقطن والشمندر وتقدر الكمية المنتجة من أهم هذه الأنواع كما يلي :

الذرة	١٦٤٫٠٠٠ طن	القطن	١٢٫٠٠٠ طن
القمح	١٣٫٠٠٠ طن	الرز	٠٧٫٥٠٠ طن
الشمندرالسكري	٠٧٧٫٠٠٠ طن	التبغ	٠٦٫١٠٠ طن

ويزرع الرز حول (تيرانا) و (البازان) وفلورا (فالونا) .

وتغطي الحشائش ٣٠ في المائة من المساحة العامة ، وتربى عليهـا الأغنام والماعز والأبقار وغيرها ويبلغ عدد قطيعها من الأغنام ١٫٦٠٠٫٠٠٠ رأس ، ومن الماعز ١٫٢٠٠٫٠٠٠ رأس .

وينتقل الرعاة بين الأودية شتاء والمرتفعات صيفاً .

ويوجد في البانيا من مصادر الطاقة النفط فيمنطقة (كسوفي) بالقرب من مدينة (بيرات) ، وقد أقيم معمل للتكرير في (سيبيرك) كما مدت

أنابيب للنفط من (كسوفي) الى ميناء (فلورا) (فالونا) كما يوجد الفحم في (سلنيس) .

أما من الثروة المعدنية فيوجد النحاس في(بوكي)، والملح في (فلورا) ثم هناك الحديد والكروم وتنتج البانيا من :

النحاس	٢٣٠،٠٠٠ طن	الحديد	١٠٦،٠٠٠ طن
الفحم	٢٩١،٠٠٠ طن	الكروم	٢٣٠،٠٠٠ طن
النفط	٨٠٠،٠٠٠ طن .		

وأهم الصناعات هي عصر الزيتون حيث تنتج ٤٥٠٠ طن من الزيت، والمنسوجات القطنية والصوفية والسكر ، وأهم الموانىء (دورازو) وتتصل بخط حديدي مع (تيرانا) وبآخر مع مدينة (البازان) ثم ميناء (فلورا) وهو أقل أهمية من الأول ، والمواصلات صعبة وهذا ما يعلل قلة الخطوط الحديدية وكذلك البرية الاخرى .

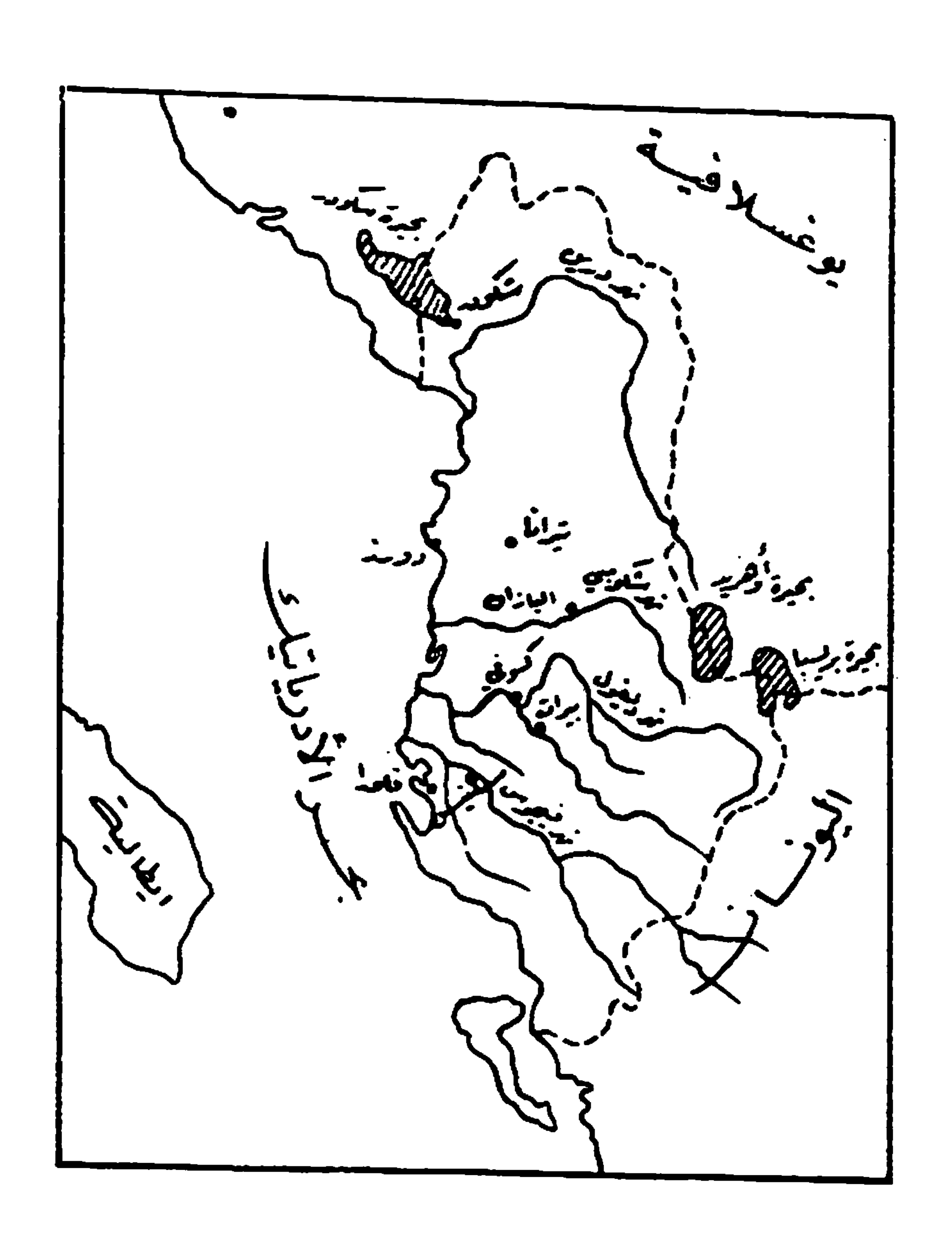
عندما جاءت الموجات تغزو الألبانيين في بلادهم سواء من الشرق أم من الشمال انعزلوا في الجبال ، ولم يختلطوا بغيرهم واحتفظوا باستقلالهم وان خضعوا للدولة الرومانية الا ان سيادتهم قد عادت اليهم بعد سقوط روما عام ٤٧٦ م . وغزا السلطان العثماني مراد الأول بلادهم عام ٧٨٩ هـ ، ولكن عاد فانسحب منها بسرعة ، واعترف الألبانيون بنفوذ العثمانيين أول مرة عام ٨٢٧ هـ ، ثم عادوا فانتفضوا عليهم ، وأخيراً هزموا أمامهم عام ٨٨٢ هـ ، ولم تحدث في البلاد بعدها مقاومة منظمة وان بقيت الموانىء بعيدة عن سلطة العثمانيين مدة أطول حيث فتحت مدينة (دورازو) عام ٩٠٧ هـ ، وقاومت مدينة (أتنفياري) حتى عام ٩٧٦ هـ .

أعلن استقلال البانيا عام ١٣٣١ هـ في مدينة فالونا (فلورا) ، وقرر

مؤتمر لندن تحديد حدود ألبانيا وعين الأمير (ولهلم) الالماني حاكما لها، ولكن وقعت اضطرابات عام ١٣٣٣ هـ فاتفقت الدول الكبرى سراً على تقسيمها ، اما ايطاليا فقد اعلنت استقلال ألبانيا من جانب واحد وذلك عام ١٣٣٦ وأعلنت الجمهورية وانتخب (أحمد زوغو) رئيساً لها ثم أعلن نفسه ملكاً عام ١٣٤٧ هـ وكان ملكاً سيئاً حاول تغيير العادات مسايرة للدول الأوروبية ففرض السفور على نساء وطنه مما اضطر عدداً من المواطنين الى مغادرة البلاد والاتجاه نحو بقية البلاد الاسلامية .

وفي عام ١٣٥٨ هـ احتلت ايطاليا ألبانيا وفر (أحمد زوغو) الى انكلترا واعترفت الدول الكبرى بقيام حكومة انتقالية برئاسة الجنرال (أنور خوجة) ، وتم عزل (أحمد زوغو) بعد نهاية الحرب وجرت الانتخابات وفاز بها الشيوعيون الذين أعلنوا الجمهورية في ١١ كانون الثاني عام ١٩٤٦ للميلاد ثم دخلت ألبانيا هيئة الامم المتحدة عام ١٣٧٥ هـ ثم قطعت العلاقات بينها وبين روسيا عام ١٣٨١ هـ نتيجة خلافات عقيدية إذ كانت ألبانيا فيها بجانب الصين .





يوغسلافية
شكودره
تيرانا
دورس
الباسان
بحيرة أوخريد
بحيرة بريسبا
برات
بحر الأدرياتيك
اليونان

الفصل الثاني

المسلمون في يوغوسلافية

تبلغ مساحة يوغوسلافية اليوم ٢٥٥٫٨٠٤ كيلو متر مربع ، وتشمل جزءاً واسعاً من شبه جزيرة البلقان وتشرف من الغرب على بحر الادرياتيك ويحدها من الشمال الغربي ايطاليا والنمسا، ويجاورها من الشمال المجر ، ومن الشمال الشرقي رومانية ، وتشترك في الحدود أيضاً مع كل من بلغاريا واليونان وألبانيا .

يتألف سطحها من منطقة جبلية في الغرب والجنوب هي جبال الألب الدينارية التي يزيد ارتفاعها على ٣٠٠٠ م وهي على شكل سلاسل تتجه من الشمال الغربي نحو الجنوب الشرقي تفصل بينها أودية وهذه المرتفعات وعرة وذات حفر كثيرة نتيجة الحت الكارستي ، أما في الشمال فيمتد سهل (بانون) الواسع الخصب الذي يجري فيه نهر (الدانوب)، كما يرفده في هذا السهل نهر (الدرافا) و (السافا) من ناحية الغرب ، كما يرفده نهر (مورافيا) من الجنوب .

وهي جمهورية اتحادية تتألف من ست جمهوريات هي :

١ ـ صربيا : وهي أكبر الجمهوريات عاصمتها بلغراد العاصمة الاتحادية الواقعة على نهر (الدانوب) عند التقائه بنهر (السافا) .

ويسكنها مايقرب ٩٫٠٠٠٫٠٠٠ نسمة وتضم اقليمين ذوي استقلال ذاتي هما (فويفودينا) في الشمال و (كوسوفو) في الجنوب وسكانها من الصرب.

٢ ـ سلوفينيا : في أقصى الشمال الغربي ويقطنها (السلوفين) الذين يبلغ تعدادهم ١٫٦٥٠٫٠٠٠ نسمة ، وعاصمتها مدينة (لوبليانا) .

٣ ـ كرواتيا : ويسكنها ٥٫٠٠٠٫٠٠٠ نسمة ، وهم من الكروات وعاصمتها مدينة (زغرب) ويرويها نهر (السافا) ، كما تضم منطقة على طول الساحل الغربي .

٤ ـ البوسنة والهرسك : وتضم (البشانقة) بشكل رئيسي ثم الكروات والصرب وعاصمتها (سيراجيفو) . وهي منطقة جبلية بالدرجة الاولى ، ويبلغ عدد سكانها ٤٫٢٥٠٫٠٠٠ نسمة .

٥ ـ مقدونيا : ويسكنها ١٫٧٠٠٫٠٠٠ معظمهم من المقدونيين ، وعاصمتها مدينة (سكوبيا) .

٦ ـ الجبل الاسود : وتقع على حدود ألبانيا ، وعاصمتها مدينة (تيتو غراد) ويسكنها ٦٠٠٫٠٠٠ فهي أصغر هذه الجمهوريات وكانت مركزاً للمقاومة ضد الاتراك ، ويقيم فيها عدد من الالبانيين .

ويوغسلافية بلاد زراعية إذ أن ٥٨ في المائة من أراضيها تشمل مساحات زراعية وأهم هذه الزراعات :

القمح ٣٫٥٠٠٫٠٠٠ طن

الذرة وتنتج ٦٫١٠٠٫٠٠٠ طن

ثم الشوندر السكري وغيره من الزراعات المهمة .

كما أن ٣٥ في المائة من المساحة العامة للبلاد تغطيها الغابات والمراعي ، وما بقي وهو ٧ في المائة أراض غير مستغلة .

كذلك تضم أراضي يوغسلافية ثروة معدنية جيدة حيث تنتج ١٫٣٠٠٫٠٠٠ طن من الفحم ، وتحوي أراضي البوسنة مناجم الحديد



التي تعطي كميات جيدة ، ويوجد النحاس إلى الجنوب الشرقي من بلغراد ، وتنتج منه البلاد ٧٦ ألف طن ، وتأتي في طليعة الدول الأوربية في انتاج هذه المادة .

كانت قبائل (إليريه) تسكن الاراضي التي تكون اليوم يوغسلافية إضافة إلى بعض جماعات من الكلتيين والغوط والهون ثم احتل الرومان المنطقة ودامت سيطرتهم عليها أربعة قرون وفي القرن الثاني للميلاد بدأت النصرانية تنتشر في هذه الرقعة من الارض من روما ، وعندما انقسمت الامبراطورية الرومانية على نفسها عام ٣٩٥ م أخذت النصرانية تصل إلى هذه البقعة من القسطنطينية .

كانت القبائل السلافية تتنقل في المناطق الواقعة بين نهري (الفيستولا) و (الدينيبر) شمال شرقي جبال (الكربات) ثم جاءها الغزاة فتفرقت

هذه القبائل على شكل مجموعات اتجهت إحداها نحو الجنوب وعرفت باسم السلاف الجنوبيين وقطنت أرض يوغسلافية بل إن كلمة يوغسلافية تعني أرض السلاف الجنوبيين هؤلاء السلاف قد ضغطوا على الاقوام السابقين فأقاموا مكانهم بينما اتجهت الاقوام السابقة نحو الجنوب الغربي واستقرت في المرتفعات وخاصة منطقة ألبانيا اليوم •

كانت القبائل السلافية مجموعات عديدة أهمها السلوفين والكروات والصرب واعتنق الصرب المذهب الارثوذكسي بينما اعتنق السلوفين والكروات المذهب الكاثوليكي على حين بقيت الأقوام السابقة على عقيدتها النصرانية السابقة لم تتخذ لها مذهباً لا الكاثوليكي ولا الارثوذكسي وقام الصراع بين أتباع المذهبين وكل يحاول كسب الاقوام السابقة الى مذهبه وهذا ما كان يزيدها تمسكاً بموقفها واصراراً على عقيدتها وفي أواخر القرن الرابع الهجري وصل (البشاتقة) إلى المنطقة قادمين من منطقة (الفولغا) يحملون معهم عقيدة الإسلام حيث اعتنقته بعض مجموعاتهم هناك وان لم تكن تعاليمه قد رسخت تماماً في نفوسهم ، وأقاموا في منطقتهم الجبلية (منطقة البوسنة والهرسك اليوم) ، واتصلوا بالاقوام القديمة فزادوا في بعدهم عن هذه المذاهب النصرانية وتمسكهم بكره تزيين الكنائس والتعميد وعبادة الصليب وتأليه المسيح والنزاع بين المادة والروح •

كونت منطقة (البشناق) دولة خاصة وظلت منطقة نزاع بين دولتي الكروات الكاثوليكية في الشمال والصرب الارثوذكسية في الشرق، وفي أوائل القرن السادس الهجري غزت المجر منطقة(البشناق)ولكن السيطرة لم تطل حيث عادت دولة (البشانقة) من جديد حتى غزاها العثمانيون في القرن التاسع الهجري والمجموعات التي اعتنقت النصرانية من (البشناق) لم تتبع أحد المذهبين كالأقوام السابقة وكونت كنيسة خاصة بها عرفت

باسم الكنيسة البشناقية وكانت متأثرة إلى حد كبير بدين إخوانهم من البشناق الذين كانوا يدينون بالإسلام منذ قدومهم من موطنهم الأصلي في بلاد الفولغا وقد اضطهد الرومان أتباع هذه الكنيسة اضطهادا كبيرا، وفي القرن التاسع الهجري أصبحت آلامهم لا تحتمل حتى انهم استعانوا بالاتراك المسلمين الذين لا يعرفون أمثال هذا العذاب لتخليصهم مما هم فيه من البؤس والشقاء وهرب منهم ما يقرب من أربعين ألفاً من البوسنة ، وسكنوا في البلاد المجاورة أما الذين لم يوفقوا في الهرب فقد أرسلوا إلى روما مكبلين في الاصفاد ، ولكن هذه التدابير على شدتها لم تفت من ساعد البشناق ، وفي عام ٨٦٨ هـ عندما غزا محمد الفاتح البوسنة وجد حاكمها الكاثوليكي أن رعاياه قد تخلفوا عنه وسلم البشناق الحصون والمدن إلى العثمانيين وخلال اسبوع واحد انتقلت سبعون مدينة الى السلطان وأضاف محمد الفاتح البوسنة إلى قائمة فتوحاته الكثيرة ومنذ ذلك الوقت دخل البشناق في الإسلام •

والبشناق الذبن اعتنقوا الاسلام قبل الغزو العثماني تنتمي اليهم تلك المجموعة الإسلامية التي عاشت في المجر (هنغاريا) ويورد ياقوت الحموي وصفاً لاجتماعه بأحد أفراد هذه المجموعة عام ٦٢٦ هـ ، يقول : وجدت بمدينة حلب طائفة كثيرة يقال لهم الباشغردية (الباشكير) شقر الشعور والوجوه جداً يتفقهون على مذهب أبي حنيفة رضي الله عنه فسألت رجلاً منهم استعقلته عن بلادهم وحالهم ، فقال : أما بلادنا فمن وراء القسطنطينية في مملكة أمة من الافرنج يقال لهم الهنكر (الهنغاريون ـ المجريون) ونحن مسلمون رعية لملكهم في طرف بلاده نحو ثلاثين قرية كل واحدة تكاد تكون بليدة إلا أن ملك الهنكر لا يمكننا أن نعمل على شيء منها سوراً خوفاً من أن نعصي عليه ونحن في وسط بلاد النصرانية فشمالينا بلاد الصقالبة ، وقبلينا بلاد البابا ، والبابا رئيس الافرنج وهو

عندهم نائب المسيح مثل أمير المؤمنين عند المسلمين ينفذ أمره في جميع ما يتعلق بالدين في جميعهم وقال : وفي غربينا الاندلس وفي شرقينا بلاد الروم قسطنطينية وأعمالها . قال : ولساننا لسان الافرنج وزّينا زّيهم ، ونخدم معهم في الجندية ونغزو معهم كل طائفة لأنهم لا يقاتلون إلا مخالفي الاسلام فسألته عن سبب إسلامهم مع كونهم في وسط بلاد الكفر فقال : سمعت جماعة من أسلافنا يتحدثون أنه قدم إلى بلادنا منذ دهر طويل سبعة نفر من المسلمين من بلاد بلغار وسكنوا بيننا وتلطفوا في تعرفنا ما نحن عليه من الضلال وأرشدونا إلى الصواب من دين الاسلام فهدانا الله والحمد لله فأسلمنا جميعاً وشرح الله صدورنا للايمان ونحن نقدم الى هذه البلاد وتتفقه ، فاذا رجعنا الى بلادنا أكرمنا أهلها وواونا أمور دينهم[1] .

وظل أمر الإسلام قائماً بين الباشغردية من أهل المجر حتى عام ٧٤١ هـ حيث أرغم الملك (شارل روبرت) جميع رعاياه الذين لم يكونوا نصارى أن يعتنقوا النصرانية أو يغادروا البلاد .

وبعد معركة (كسوفو) عام ٨٩٢ هـ دخل عدد من الصربيين في الإسلام ، وأصبحوا عوناً للعثمانيين ، وفي عام ٨٦٤ هـ أصبحت الصرب ولاية عثمانية على يد محمد الفاتح الذي سمح للكاثوليك أن يحلوا محل الذين فروا من أراضيهم .

وقد حرّض النمساويون أهل الصرب على إذكاء نار الثورة ضد العثمانيين حتى اذا ما أخفقت هذه المحاولة فر من البلاد زعيم الثورة مع ٤٠ ألف أسرة إلى المجر عام ١١٠٢ هـ ، ثم تكررت هذه العملية عام ١١٥٢ فالتجأت ١٥ ألف أسرة أيضاً ، وحل محل هؤلاء الفارين الالبان

---

١ ـ معجم البلدان الجزء الثاني صفحة ٣٨ طبعة القاهرة ١٣٢٣ هـ .

سكان الجبال الذين نزلوا مكان الصربيين الذين غادروا ديارهم ، وبدأ الإسلام ينتشر بين قبائل الصرب بشكل بطيء .

أما الجبل الأسود فقد كان مركز المقاومة ، وبعد مدة دخلت أعداد من السكان في الإسلام وخاصة في المناطق القائمة على حدود المنطقة ، ولما رأى الأسقف دانيا (بترو فتش) انتشار الإسلام هاله الأمر فجمع القبائل عام ١١١٥ هـ وأخبرهم أن الأمل الوحيد لانقاذ بلادهم ودينهم ينحصر في القضاء على المسلمين الذين يعيشون بين ظهرانيهم ، وكان من أثر ذلك أن الذين لم ينقضوا عهد الإسلام وأبوا أن يدخلوا في النصرانية من مسلمي الجبل الاسود أنهم قتلوا ليلة عيد الميلاد في ثبات ورباطة جأش[1] .

بدأ ضعف الدولة العثمانية يظهر،وبدأت الهزيمة تحل بها المرة تلو الاخرى حتى اضطرت عام ١٢٩٦ هـ إلى التنازل لدولة النمسا ـ المجر عن بلاد (البشناق) الذين وقعوا لأول مرة بعد اسلامهم تحت حكم غير المسلمين فهاجر كثير منهم إلى الاناضول والبلاد الاخرى التي بقيت تحت الحكم العثماني ، وكان الحكم النمساوي قاسياً على المسلمين يعمل على اضطهادهم وتشريدهم كما يحاول تنصيرهم،فحمل ذلك مرة أخرى الكثيرين من المسلمين إلى الهجرة إلى أراضي الدولة العثمانية .

وفي عام ١٣١٨ هـ ثار المسلمون بزعامة رئيسهم (علي فهمي جايتش) على النمساويين ، ونجح المسلمون في الحصول على استقلالهم الذاتي في

---

١ ـ الدعوة الى الاسلام سير توماس ارنولد ترجمة حسن ابراهيم حسن وشركاه طبعة مكتبة النهضة المصرية الثانية ١٩٥٧ على الرغم من أن الكتب الاوروبية تصور قسوة العثمانيين إلا انه لم يقع منهم مثل هذه الحادثة وامثالها كثير وقد ذكرنا منها اضطهاد (البوجوميل) .

الأمور الدينية عام ١٣٢٧ هـ .

واندلعت نار الحرب العالمية الأولى من هـذه المنطقة إذ قتل ولـي عهد النمسا وزوجته على يد أحد الشباب أثناء زيارته للمنطقة التي تتبع له ، وهزمت دولة النمسا المجر في الحرب ، وفـرح المسلمون ، وأسست الدولـة اليوغسلافيـة لأول مرة حيث ضمت السلاف الجنوبيين ، وظن المسلمون أنهم قد تخلصوا من الاستعمار والاضطهاد النمساوي إلا أنهم وجدوا أنفسهم تحت ضغط آخر إذ غدر بهم الارثوذكس وتحت شعـار الاصلاح الزراعي أخذوا منهم أراضيهم وأعطوهـا للارثوذكس عـام ١٣٣٧ هـ فأدى ذلك إلى إفقار المسلمين فلم يزدادوا خـلال أكثر مـن نصف قرن إلا بمقدار ٦٠ في المائة بينما ازداد غيرهم ١٢٣ في المائـة في المدة نفسها مع العلم أن المسلمين أكثر زيادة من غيرهم بكثير وهذا يعود إلى هجرة الكثيرين وتشريد الأعداد الكبيرة منهم .

ولقد كان البشناق أكثرية قبل سيطرة النمساويين على بـلادهم إلا أن النمساويين لم يكادوا يقومون بعملية الاحصاء حتى هاجر كثير مـن السكان ودخل كثير من النصارى لإعمار الأراضي التي هجرها أصحابها ونتيجة الاحصاء كـانت نسبة المسلمين في البوسنة والهرسك ٣٨٫٧ في المائة وبقيت هذه النسبة في تدنٍ حتى عام ١٣٥٠ هـ حيث كانت ٣٠٫٩ في المائة ، وكان عدد (البوشناق) الذين هاجروا في هذه المدة أكثر من ٣٠٠ ألف بوشناقي عدا الاتراك والشعوب الاخرى وقد هاجر جميـع الشركس الذين كانوا يقيمون في المنطقة .

أسس المسلمون الحزب الإسلامي برئاسة الدكتور (محمد سباهو) ١٣٣٨ هـ وشكل عـدداً من الحكومـات بين الحربين ، وقامت الحرب العالمية الثانية ، وحدثت مذابح بين المسلمين والارثوذكس من جهة وبين الكاثوليك من جهـة ثانية ، وبعـد الحرب تسلم الشيوعيون الحكم .

وغدروا بالمسلمين ، كما غدر بهم الارثوذكس بعد الحرب العالمية الأولى، وتعرض المسلمون لمذابح كثيرة ، ولتهديم مساجدهم ومدارسهم الدينية ومؤسساتهم وسادت موجة عنيفة ضد الدين عامة وضد المسلمين بشكل خاص حيث أبيد ٢٤ ألف مسلم بعد الحرب مباشرة (١٥ ألف من منطقة (طوزلا) شرق مقانعة البوسنة و ٣ آلاف فيمدينة سراجيفو و ٦ آلاف من مقدونيا وكوسوفو) وهدم مسجد مدينة (زغرب) عاصمة (كرواتيا) وقتل مفتي المقاطعة الشيخ (عصمت مفتيتش) والعالم الشيخ (مصطفى يوصولاجيتش) واغلقت الكلية الإسلامية العليا للتربية الاسلامية في (سيراجيفو) وجميع المدارس الدينية باستثناء واحدة فقط أبقوا عليها للدعاية وحكموا على ١٢ عالماً بالأشغال الشاقة منهم (الشيخ قاسم دوراجا شيخ علماء البوسنة والهرسك) و (الشيخ عبد الله دروبسيوفتش) وحكمت محكمة (سكوبيا) في مقدونية على سبعة عشر زعيماً البانياً من الالبانيين الذين يقيمون في يوغسلافية بالاعدام ، وبعد عام حكمت على ثلاثة بالاعدام وعلى ٢٤ بالاشغال الشاقة ، كما اعدم أربعة من زعماء جمعية الشبان المسلمين في (سيراجيفو) وحكم على تسعة آخرين بالاشغال الشاقة ، ثم صدر قرار بإلغاء المحاكم الشرعية في يوغسلافية ، وكان في بلغراد مائتا مسجد ، بقي واحد منها فقط هدمت منذئذ .

وتنفذ الأحكام قبل انعقاد المحكمة التي ربما يكون اجتماعها بعد مدة طويلة من التنفيذ .

والمسلمون في يوغسلافية اليوم كمجموعات كبيرة هم :

١ ـ البشناق ، وهم يشتركون مع الصرب والكروات في اللغة والجنس أي من أصل سلافي ويتكلمون لغة سلافية .

٢ ـ الألبانيون .

٣ ـ الأتراك .

هذا بالاضافة الى المسلمين الآخرين من الصرب والكراوتيين، وعدد هذه المجموعات هو كما يلي :

المجموعة	العدد ١٣٥٠ هـ	العدد ١٣٩١ هـ	الزيادة المئوية
البشناق	١٫٠١١٫٠٠٠	١٫٥٢٠٫٠٠٠	٥٠٫٢ في المائة
الالبان	٤٠٠٫٠٠٠ ٫٠	١٫٢٠٠٫٠٠٠	٢٠٠ في المائة
الاتراك	١٥٠٫٠٠٠ ٫٠	٣٨٠٫٠٠٠ ٫٠	١٥٣ في المائة
بقية المجموعات	٦٦٫٠٠٠	١٠٠٫٠٠٠ ٫٠	٥٠٫١ في المائة
مجموع المسلمين	١٫٦٢٧٫٠٠٠	٣٫٢٠٠٫٠٠٠	٩٩ في المائة
مجموع غير المسلمين	١٢٫٣٧٣٫٠٠٠	١٧٫٤٠٥٫٠٠٠	٤٠٫٦ في المائة
المجموع العام	١٤٫٠٠٠٫٠٠٠	٢٠٫٦٠٥٫٠٠٠	
نسبة المسلمين المئوية	١١٫٦ في المائة	١٥٫٦ في المائة	

والمجموعات الإسلامية لا تتزايد بالنسبة نفسها فأكثرها تزايداً المجموعة الالبانية فالتركية فالبوشناق ومع ذلك يبقى البوشناق أكثر تزايداً من أية مجموعة أخرى غير الإسلامية .

ومع هذه النسبة من الزيادة فلن تمضي مدة طويلة حتى يصبح المسلمون في يوغسلافية يشكلون ربع عدد السكان .

أما توزيع هذه المجموعات بالنسبة الى المقاطعات فان البوشناق يكثرون في جمهورية (البوسنة والهرسك) وأما الالبانيون فيكثرون في اقليم (كوسوفو) وبعضهم في (الجبل الأسود) ، أما الاتراك فمعظمهم يعيش في جمهورية (مقدونيا) ، أما بقية المجموعات فالمسلمون هم الذين

أعتنقوا الإسلام من سكان بقية المناطق . أما عدد المسلمين بالنسبة إلى المقاطعات فهو كما يلي :

اسم المقاطعة	عدد السكان	عدد المسلمين	نسبة المسلمين المئوية
صربيا	٩٫٠٠٠٫٠٠٠	١٫٠٤٥٫٠٠٠	١٦ر١ في المائة يتجمع معظمهم في اقليم كوسوفو
سلوفينيا	١٫٦٥٠٫٠٠٠	—	—
كرواتيا	٥٫٠٠٠٫٠٠٠	٠٫٠١٠٫٠٠٠	٢ر٠ في المائة
البوسنةوالهرسك	٤٫٢٥٠٫٠٠٠	١٫٤٢٣٫٧٥٠	٣٣ر٥ في المائة
مقدونيا	١٫٧٠٠٫٠٠٠	٠٫٣٨٧٫٠٠٠	٢٢ر٧ في المائة
الجبل الاسود	٠٫٦٠٠٫٠٠٠	٠٫٠٧٥٫٠٠٠	١٢ر٥ في المائة
المجموع العام	٢٢٫٢٠٠٫٠٠٠	٣٫٤٣٥٫٣٥٠	١٥ر٦ في المائة

ويعتقد أن عدد المسلمين اليوم يزيد على ٤ ملايين نسمة وأن نسبتهم أكثر من هذه النسبة حيث الاحصاءات متناقضة ومتباينة .

أما من حيث الديانات الاخرى فيشكل الارثوذكس أكبر نسبة ، وان كانوا يقلون في سلوفينا وكرواتيا حيث يكثر الكاثوليك .

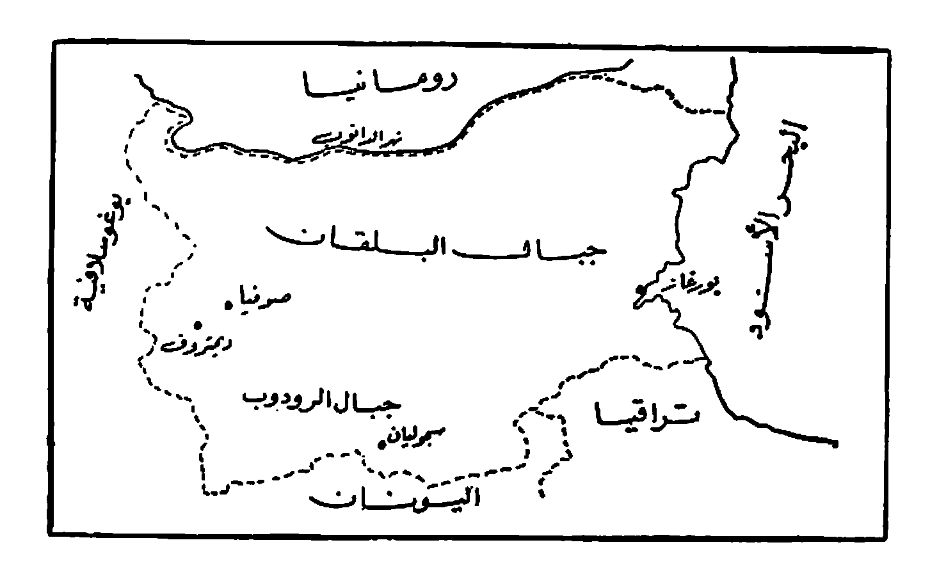
وهناك أعداد من اليهود لا يزيدون على ٢٠٠٠ نسمة ، يعيش قسم منهم في مقاطعة (سلوفينيا) والآخر في صربيا .

ولكل جمهورية لغتها الرسمية كالسولوفينية والصربية والكرواتية والمقدونية وكذلك الالبانية في اقليم كوسوفو أما الكرواتية والصربيـة فهما في الحقيقة لغة واحـدة ولكنهما تكتبان بحروف مختلفة فالصربية تكتب بالحروف الروسية بينما الكرواتية تكتب باللاتينية .

ويعترف الآن القانون اليوغسلافي بحرية الاديان، ويقوم المسلمون بتأدية شعائرهم بحرية ، ويوجد اتحاد اسلامي يشرف عليه رئيس العلماء ويوجد مجالس للعلماء في عواصم جمهوريات البوسنة والهرسك والجبل الأسود ومقدونيا واقليم كوسوفو كما يوجد مدارس عليا للعلوم الإسلامية في كل من (سراجيفو) عاصمة البوسنة والهرسك و (سكوبيا) عاصمة مقدونية •

والبشناق أحسن حالاً من إخوانهم الاتراك والالبانيين ، وقد أخذ عدد الحجاج اليوغوسلاف المسلمين يزداد في الآونة الاخيرة ووصل الى عدة آلاف •

ولعل من أهم المشكلات التي تعانيها يوغسلافية هو الخلاف التاريخي بين الكاثوليك والارثوذكس ويفكر الكاثوليك في الاستقلال في المنطقة الشمالية التي تضم كرواتيا وسلوفينيا •



الفصل الثالث

المسلمون في بلغاريا

بلغاريا دولة صغيرة تشرف على البحر الأسود ، تبلغ مساحتها ۱۱۰٫۹۲۸ كم² أي أكبر من مساحة الاردن بقليل وتتألف أرضها من خمس مناطق هي :

١ ـ هضاب منخفضة في الشمال تميل نحو نهر الدانوب الذي يشكل معظم الحدود بين بلغاريا ورومانيا ، ويعيش السكان في قرى كبيرة ، ويمتهنون الزراعة ، وأهم أصنافها القمح والذرة .

٢ ـ جبال البلقان: ويصل ارتفاعها الى ٢٨٦٠ متراً ، وتتجه نحو الشرق تقطعها الأودية ، وتكثر عليها الاشجار ، ويعمل السكان في زراعة الأودية بينما يرعون حيواناتهم على المرتفعات .

٣ ـ أحواض الوسط : تنتشر عدة أحواض في الوسط تمتد من الغرب الى الشرق أولها حوض مدينة (صوفيا) العاصمة ، وتوجد فيها الحدائق ويزرع القمح والبطاطا ثم وادي (المارتيزا) ، وتتوالى الأحواض حتى البحر الأسود .

٤ ـ جبال رودوب : ويصل ارتفاعها في الغرب في قمة (بيك ستالين) الى ٣٠٩٧ متراً ، وهي أعلى قمة في شبه جزيرة البلقان ، وتكثر فيها الأشجار ، وهي قليلة السكان .

٥ ـ ساحل البحر الأسود : وهو ضيق ، لأن المرتفعات تمتد الى

قرب الشاطىء لذا تتناوب الأودية المنتهية الى خلجان مع التلال المنتهية برؤوس صخرية وتغطي المروج المرتفعات ، وتقوم عليها المراعي ، وتقوم زراعة القمح والشعير على الترب الخصبة •

يعمل السكان في الزراعة بنسبة ٧٥ في المائة منهم ، وتبلغ المساحة المزروعة ثلث مساحة البلاد الكلية ، وأهم الحاصلات الزراعية هي الكتان والتبغ والعنب والتوت والحبوب •

ويربي السكان من الحيوانات الاغنام والماعز •

وتحوي أرض بلغاريا كميات من الثروة المعدنية أهمها : الفحم حيث تنتج ٦٠٠ الف طن ، وبعض أنواع الليغنيت الذي يستخدم في توليد الطاقة الكهربائية وتقدر كمية الليغنيت بـ ١٦٫٥٠٠٫٠٠٠ طن ، ومعظم الفحم من مناجم « ديمتروف » غرب مدينة صوفيا إلى الجنوب قليلا ، ثم هناك النفط في أقصى الشمال الشرقي وتعطي مكامنه ٢٥٠٫٠٠٠طن ، ثم يوجد الحديد ٢٣٠٫٠٠٠ طن ، والرصاص ٧٫٠٠٠ طن ، والتوتياء ٦٨٫٥٠٠ طن ، وكميات من النحاس والمنغنيز والاورانيوم •

يبلغ عدد سكان (بلغاريا) اليوم ٨٫٦٠٢٫٠٠٠ نسمة وبذا تقرب الكثافة العامة من ٨٠ شخص في الكيلو متر المربع الواحد •

والبلغار من أصل تركي قدموا من الشرق ، وغزوا هذه الاراضي التي كانت تنتقل فيها قبائل صقلبية من أصل سلافي لكن هؤلاء البلغار سرعان ما تعلموا لغة السلافيين وتكلموها ، وهي قريبة اليوم من اللغة الروسية ، ثم دانوا بالنصرانية حوالي عام ٢٥١ للهجرة ، وعندما قامت الدولة العثمانية وبدأت تتوسع في أوروبا كانت بلغاريا من أولى البلاد التي دخلها العثمانيون إذ فتح (مراد الأول) صوفيا والجزء الجنوبي من بلغاريا عام ٧٧٤ هـ ، وفتح ابنه (بايزيد) الجزء الشمالي منها عام ٧٩٦هـ ،

وعندما هزم العثمانيون أمام (تيمورلنك) خرجت من سيادة العثمانيين ؛ ولكنها لم تلبث أن عادت أيام محمد الفاتح وبقيت تخضع للدولة العثمانية حتى عام ١٢٩٦ هـ إثر مؤتمر برلين حيث نالت الاستقلال الذاتي ، وكذا نالت منطقة الروميللي الشرقية استقلالها الذاتي عام ١٣٠٣ هـ وبقي هذا الامر حتى عام ١٣٢٦ حيث استقلت وأسست مملكة خاصة بهـا تعرف باسم (مملكة بلغاريا) .

في أثناء الحكم العثماني استقر في المنطقة عدد من العثمانيين ، كما اعتنق الاسلام عـدد من البلغاريين ولو اهتم الحكام المسلمـون بنشر الاسلام كما اهتموا بالجانب العسكري لكانت المنطقة اسلامية كاملـة وليس هذا الكلام مجرد ظن وانما يثبته الواقع فما دخل المسلمون منطقة الا سادها الاسلام .

وقد انحازت بلغاريا الى جانب الالمان في الحربين العالميتين ونالها من أثر الهزيمة ما نالها . وتسلم الشيوعيون الحكم في بلغاريا إثر الحرب العالمية الثانية ونال المسلمين ما نالهم من اضطهـاد ، حقداً على الاسلام عامة وعلى الاتراك خاصة والاتراك يشكلون جزءاً كبيراً من المسلمين هنـاك .

يبلغ عدد المسلمين ما يقارب مليون ونصف المليون نسمة ، ويرفع السكان المسلمون هذا العدد الى المليونين ، ومع هذا الرقم فليست لهم مدارس خاصة بهم ، ويمنعون من الحج ، كما يمنعون من اقتناء المصاحف ، ومن الهجرة ، وليس لهم وجود في المؤسسات ودوائر الدولة على الرغم من نسبتهم الكبيرة ، ولهم ١٢٠٠ مسجد ، ويرعى شؤونهم مفت أكبر ، ويتوزعون في ست مناطق ، ويغلب عليهم طابع الفقر والبؤس وتعد مناطقهم من أكثر المناطق تخلفاً بالنسبة الى البلاد .

وان تكاثر المسلمين كان وما يزال يسبب قلقاً مستمراً للسلطات الحاكمة مما جعلهم يفكرون في وسيلة لاذابتهم في المجتمع البلغاري وذلك بمحو طابع الاسلام ولتحقيق هذا الهدف ارتاى المسؤولون في بلغاريا في منتصف القرن الرابع عشر الهجري وضع مشروع شامل يبدأ بتنصير المسلمين بصورة جماعية وذلك بطريق العنف اذا اقتضى الأمر وقدتصدى المسلمون لهذا المشروع وقاوموه مقاومة قوية وذهب الكثير منهم الى السجون ومات بعضهم ضحية تحت سياط التعذيب الوحشي •

وعندما تسلم الشيوعيون السلطة ألغي هذا القرار الغاء مؤقتا لكسب المسلمين الى جانبهم وفي الآونة الاخيرة بعث الشيوعيون الموضوع من جديد وبشكل أكثر عنفاً وبربرية وذلك يعطي الدليل الواضح أن العداء للاسلام وأن الشيوعية لاتختلف عن الرأسمالية في هذا وقبل أن نتحدث عن المشروع الشيوعي لابد من أن نعطي صورة عن المسلمين وزيادتهم •

والمسلمون في بلغاريا ثلاث مجموعات هي :

١ ــ الترك : ومعظمهم من أصل عثماني وليس فيهم الا عدد ضئيل من التتار الذين نزحوا إلى المنطقة من بقية أرجاء الامبراطورية الروسية ولا يزيد عدد هؤلاء التتار على ١٠ آلاف وأهم مراكزهم (بورغاز) ٠

٢ ــ البلغار : الذين يكثرون في الجنوب في جبال (الرودوب) وأشهر مدنهم (سموليان) ويسمى هؤلاء ــ البلغاريون باسم « البوماك » ٠

٣ ــ الغجر : ومعظم الغجر الذين في بلغاريا هم من المسلمين وهم من البدو الرحل ٠ وعدد هذه المجموعات في الآونة الاخيرة كما يلي :

ـ ٢٢٠ ـ

المجموعة	١٣٦٩	١٣٧٦	١٣٩١	الزيادة المئوية
الاتراك	٦٨٣ر٠٠٠	٧٤٠ر٠٠٠	٨٩٠ر٠٠٠	٣٠ في المائة
البلغار	١٥٠ر٠٠٠	١٩٠ر٠٠٠	٣٢٠ر٠٠٠٠	١١٣ في المائة
الغجر	١١٥ر٠٠٠	١٤٥ر٠٠٠	٢٤٠ر٠٠٠	١٠٩ في المائة
مجموع المسلمين	٩٤٨ر٠٠٠	١ر٠٧٥ر٠٠٠	١ر٤٥٠ر٠٠٠	٥٣ في المائة

وان قلة تزايد الاتراك انما تعود إلى هجرة الكثير منهم إلى تركيا كلما سنحت لهم الفرصة ولكن على الرغم من هذه الزيادة القليلة فانها ضعف زيادة غير المسلمين ويمكن ان نلحظها في الجدول التالي :

المجموعة	١٣٦٩	١٣٧٦	١٣٩١	الزيادةالمئوية
غير المسلمين	٦٫٠٧٤٫٠٠٠	٦٫٥٢٥٫٠٠٠	٧٫١٥٢٫٠٠٠	١٥ في المائة

وبهذه الزيادة التي يتفوق فيها المسلمون على غيرهـم فان نسبتهم تزداد بشكل دائم ويمكن أن تتوضحها في الجدول التالي :

المجموعة	١٣٦٩	١٣٧٦	١٣٩١	الزيادة المئوية
المسلمون	٩٤٨٫٠٠٠	١٫٠٧٥٫٠٠٠	١٫٤٥٠٫٠٠٠	٥٣ في المائة
غير المسلمين	٦٫٠٧٤٫٠٠٠	٦٫٥٢٥٫٠٠٠	٧٫١٥٢٫٠٠٠	١٥ فيالمائة
المجموع العام	٧٫٠٢٢٫٠٠٠	٧٫٦٠٠٫٠٠٠	٨٫٦١٢٫٠٠٠	
نسبة المسلمين	١٣٫٣ في المائة	١٤٫١ في المائة	١٧ فيالمائة	

ويتلخص المشروع الشيوعي الجديد في النقاط التالية :

١ ـ تغيير أسماء المسلمين الـى أسماء بلغارية ، واتبعت في ذلـك الخطوات التالية :

أ ـ يعطى للمسلمين طلبات جاهـزة يسجل فيها رب الاسرة اسمه واسماء أفراد عائلته ومايقابلها مـن اسماء بلغارية التـي يختارها لنفسه ولأفراد أسرته من بين قائمة اسماء مرفقة من قبل السلطات الشيوعية .

ب ـ عدم تسجيل المواليد الجدد باسماء اسلامية .

جـ ـ لاتتم اجراءات الزواج وتسجيله الا باسماء غير اسلامية .

د ـ لاتعطى شهادات من أي نوع أو هوية الا باسماء غير اسلامية.

هـ ـ لاتصرف مرتبات العمال والاجور إلا بعد تغيير الاسماء .

هذه بالاضافة الى عدة اجراءات تعسفية اخرى تجعل من العسير بل من المستحيل على أي مسلم أن ينجز أبسط الاعمال إلا بعد تغييراسمه .

٢ ـ بدأت السلطات الشيوعية في منع النساء المسلمات من ارتداء الزي الاسلامي فلاتستطيع المرأة المسلمةبزيها الاسلامي أنتشتري أبسط الحاجيات من تعاونيات الدولة .

٣ ـ صدرت الاوامر بإلغاء مقابر المسلمين على أنيكونهناك مقابر موحدة للجميع من مسلمين وغيرهم وأن تلغى اجراءات الدفن كافة والتي تقوم بالطريقة الاسلامية .

٤ ـ منع النحر في عيد الاضحى المبارك .

تقدم المسلمون بعريضة الى الحزب الشيوعي لأنه الجهة الوحيدة التي يسمح لهم بالتحدث معها ـ اليها فكان الرد أنه يجب عليهم مسايرة تطور الديالكتيك الماركسي .

وبعد فلا يزال المسلمون يقاومون هذه الاجراءات التي تتنافى مع أبسط حقوق الانسان والمبادىء الانسانية فالمسلمون يقادون بالعشرات يومياً إلى السجون ويكابدون أشد أنواع العذاب النفسي والبدني[1] . وقد أبيد عدد ممن عارض هذه الاجراءات .

وهدمت المساجد في بلغاريا ، ولم يبق سوى مسجد واحد للصلاة في العاصمة (صوفيا) ، وقداستعملتبعض أبنية المساجدلأغراض أخرى ، فالمتحف في (صوفيا) أصله مسجد أزيلت منارته . ولليهود مركز كبير في الحزب الشيوعي البلغاري .

---

(١) عن مجلة الغرباء السنة العاشرة ـ العدد الثالث تموز آب ١٩٧٢ م .

وفي بلدان أوروبا الشرقية التي تخضع للنفوذ الشيوعي مجموعات اسلامية صغيرة .

ففي رومانيا كان عام ١٣٥٨ للهجرة ٢٦٠٫٠٠٠ نسمة من المسلمين ولكن هذا العدد بقي عام ١٣٧٨ هـ ٥١٫٠٠٠ فقط معظمهم من الاتراك التتار اذ أن القسم الكبير من المسلمين كان ضمن المناطق التي احتلتها روسيا وضمتها اليها من رومانيا ولهؤلاء المسلمين مفتٍ أعلى يقيم في مدينة (كونسطانطة) على ساحل البحر الاسود .

وفي بولنده مايقرب من ١٥٫٠٠٠ تتاري مسلم .

وفي المجر والمانيا الشرقية وتشيكو سلوفاكيا عدة آلاف من الاتراك وقد ذكرنا المجموعة الاسلامية الأولى التي انقرضت في بلاد المجر .

كما توجد جماعات اخرى في (ليتوانيا) على البحر البلطيق وقد استقرت هذه المجموعة من التتار هناك في اوائل القرن التاسع الهجري ، وقد احتفظوا بدينهم بين السكان النصارى ، وحاولوا نشر دينهم، فبدؤوا يتزوجون بالفتيات اللتوانيات والبولنديات .



الفهرس

الموضوع	الصفحة

للمؤلّف

مواطن الشعوب الإسلامية

في آسيا

١ ـ تركستان الغربية
٢ ـ تركستان الشرقية
٣ ـ قفقاسيا
٤ ـ باكستان
٥ ـ أندونيسيا
٦ ـ اتحاد ماليزيا
٧ ـ المسلمون في الفيليبين
٨ ـ المسلمون في قبرص
٩ ـ فطاني
١٠ ـ جزر المالديف
١١ ـ افغانستان
١٢ ـ تركيا
١٣ ـ ايران
١٤ ـ شبه جزيرة العرب
أ ـ عسير
ب ـ نجد
جـ ـ الحجاز
د ـ البحرين
هـ ـ اليمن
و ـ عُمان
١٥ ـ المسلمون في الهند الصينية

في إفريقية

١ ـ غينيا
٢ ـ نيجيريا
٣ ـ الصومال
٤ ـ موريتانيا
٥ ـ ارتيرية والحبشة
٦ ـ تشاد
٧ ـ تانزانيا
٨ ـ السنغال
٩ ـ أوغندة
١٠ ـ ليبيا
١١ ـ السودان
١٢ ـ جزائر القمر
١٣ ـ المسلمون في بورندي
١٤ ـ مالي
١٥ ـ سيراليون
١٦ ـ النيجر